سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة
(17)

شرح القصيدة الميمية

الشيخ سعد المزْعِل

[المقدمة]

هــذه هي القصــيدة الميمية للإمــام رحمه الله تعالى، وهي مطبوعة مع مجموعة قصـائد بعنـوان: مجموعة القصـائد المفيـدة، قمت بوضع شرح يسير مختصر لها، وذكرت معاني بعض المفردات التي تحتاج إلى بيان.

وبعد الشروع بالعمل وقفت على كتـاب بعنـوان (الرحلة إلى بلاد الأشواق شرح القصيدة الميميـة)، عرض وتحليل مصطفى عراقي. وقد جـاء في الكتاب أبيات زائدة على ما في الكتاب المطبوع الــذي اعتمدتــه، ولكي تكمل الفائــدة ويعم رأيت أن أذكر الأبيات الزائدة وأدمجها مع القصيدة.

وأسأل الله العلي القدير أن يوفقـني للصـواب، وأن يجنبني الزلل، وأن يجعل جميع أعمالي خالصة لوجهه، وأن يتقبلها إنه أكرم من سُئِل.

ترجمة الإمام ابن القيم[1]

1- اسمه ونسبه:

العلامة شمس الـدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيـــوب بن ســـعد بن حريز الدمشقي، الفقيه الحنبلي.

2- ولادته:

ولد في دمشق سـنة إحـدى وتسـعين وسـتمائة للهجرة.

3- كنيته:

اشتهر بلقبه (ابن القيم) أو (ابن قيم الجوزيــة)، أو (إمام الجوزية).

ونســبته إلى الجوزية ترجع إلى أن والــده قيِّمًا على تلك المدرسة.

---

[1] () انظر ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير: 14/246، والدرر الكامنة لابن حجر: 3/400، وشذرات الذهب لابن رجب الحنبلي: 6/168، والبر الطالع للشوكاني: 2/143، ومعجم المـؤلفين لعمر كحالـة: 9/106، وجلاء العيـنين للآلوسـي: ص 44، ومـذيل طبقـات الحنابلة لابن رجب: 4/447، والأعلام للزركلي 6/56. وللمزيد انظر: الـوافي بالوفيـات للصـفدي، وبغية الوعـاة للسـيوطي، والنجـوم الزاهــرة لابن تغــري بــردي، وهدية العــارفين للبغــدادي، والزيــارات للعــدوي، وكشف الظنــون لحــاجي خليفــة، وإيضــاح المكنــون للبغــدادي، والمجــددون في الإســلام للصـــعيدي، وابن قيم الجوزية لعبد العظيم عبد وفهـرس مخطوطـات الظاهرية ليوسف العش، وفهـرس الخــديوي، والتيموريـــة، وآداب اللغـــة، والمنهج الأحمـــد، ومعجم المطبوعات.

والقيِّم: الــذي يقيم الأمر ويصــلحه ويرعــاه ويجعله مسـتقيمًا. فـأبو الإمـام كـان يـدير شـؤون المدرسة الـتي اسـمها الجوزيـة؛ فنسب إليها قيم الجوزية.

المدرسة الجوزية:

يقول الحافظ ابن كثـير: إن محي الـدين يوسف بن عبد الـــرحمن بن علي بن محمد الذي ابتنى هذه المدرسة بالنشابين بدمشق وأوقف لها[1].

أوقف لها يعني: خصص بعض العقـارات وغيرها مما يـدرَّ من الأمـوال، لكي ينتفع القـائمون عليهـا، ولإصلاح شأن المدرسة وتأمين حوائجها.

4- شيوخه:

نشأ ابن القيم رحمه الله تعـالى، في زمن بالعلماء البارزين.

ونشأ كــذلك في بيت علم، فقد كــان فقهاء الحنابلة المشهورين، وكان له في الفرائض يدًا، فأخذها عنه.

وســمع على التقي ســليمان، وأبي بكر الدائم، والمطعَّم، وابن الشـيرازي، وإسـماعيل مكتوم.

وقرأ العربية ابن أبي الفتح، والمجد التونسي.

---

1 () البداية والنهاية: 13/33.

وقــرأ الفقه على المجد الحــراني، وابن وقرأ في الأصول على الصفي الهندي[1]. وسمع من الشهاب النابلسي وغيره[2].

ولما عـاد الشـيخ ابن تيمية من الـديار المصـرية في سنة 712هــ لازمه إلى أن مـات الشـيخ الله، فأخذ عنه علمًا جمًّا[3]، وسمع من فاطمة بنت جوهر[4].

5- علمه:

قال ابن كثـير: بـرع في علـوم متعـددة لا سـيما علم التفســير والحـــديث، ولازم ابن تيمية مـات الشـيخ، فأخذ عنه علمًا جمًّا –مع ما سـلف من الاشــتغال- فصــار فريـــدًا في بابه في كثـــيرة، مع كـــثرة الطلب ليلًا ونهـــارًا الابتهال[5].

قال ابن رجب: شيخنا الفقيه الأصـولي المفسر النحوي العـارف، تفقه في المـذهب وبـرع وأفـتى. وكان عارفًا بالتفسير لا يجاري فيه وبأصـول وإليه فيها المنتهى، والحديث ومعانبه وفقهه ودقائق الاسـتنباط منـه؛ لا يُلحق في ذلـك. وبالفقه

---

1 () الدرر الكامنة: 3/400، 401.
2 () شذرات الذهب: 6/186.
3 () البداية والنهاية: 14/246.
4 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/447.
5 () البداية والنهاية: 14/246.

وأصـوله، وبالعربيـة، وله في اليد الطـولى. قـال القاضي برهــان الــدين الــزرعي: ما تحت السماء[1] أوسع علمًا منه.

وقال ابن كثير: وبالجملة كـان قليل النظـير مجموعه وأموره وأحواله[2].

قـــال ابن رجب: ولا رأيت أوسع منه أَعْرَف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم؛ ولكن لم أرَ في معناه مثله[3].

6- خلقه:

قال ابن كثير: كان حسن القراءة، والخلق، كثير التـودد، لا يَحسُـدُ أحـدًا ولا يؤذيه ولا يسـتعيبه، يحقد على أحد. وكنت من أصحب النـاس له الناس إليه[4].

7- عبادته:

قال ابن رجب: وكان رحمه الله ذا عبـادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر وشـغف بالمحبة والإنابة والاسـتغفار والافتقـار الله والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته؛ لم أشـاهد مثله في ذلـك. وكـان في حبسه مشتغلًا بتلاوة القرآن –بالتدبر والتفكر-

---

1 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/448 – 449.

2 () البداية والنهاية: 14/246.

3 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/448.

4 () البداية والنهاية: 14/246.

ففتح عليه من ذلك خير كثير[1].

قال ابن كثير: كان كثير الابتهال، وذكر كلامًا، ثم قال: ولا أعرف في هذا العالم في زماننا عبادة منه. وكانت له طريقة في الصلاة؛ يطيلها جدًّا ويمد ركوعها وسجودها. ويلومه كثير أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع ذلك، رحمه الله[2].

قال الحافظ: وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول هذه غدوتي لم أقعدها سقطت قواي. وكان يقول: بالصبر والفقر ينال الإمامة في الدين. وكان يقول: لابد للسالك من همة تسيره وترقيه, وعلم يبصره ويهديه[3].

وقال ابن رجب: وحج مرات كثيرة, وجاور بمكة, وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرًا يتعجب منه[4].

8- محنته:

ليس غريبًا أن يتعرض ابن القيم, رحمه إلى بعض الإهانات من السفهاء أو الضرب أو غير ذلك من الابتلاءات؛ فهذا هو حال

---

1 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/448.
2 () البداية والنهاية: 14/246.
3 () الدرر الكامنة: 3/401.
4 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/448.

كل داعية حق, وهذا هو سبيل الأنبياء والصالحين. فأي إنسان يقوم ليحمل أعباء الدعوة إلى سبحانه, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والوقوف في وجه عادات الناس المخالفة للإسلام؛ لابد وأن يضع في حسابه أنه سوف يأتيه ما لا يحب.

وهذا ما حدث للإمام, رحمه الله, فقد كان بصدع بما يرى أنه الحق؛ فيُهان أو يسجن. ويفتي بما يرى أنه الحق؛ فيضرب تارة أو يسجن أخرى.

قال الذهبي في المختصر: وقد حبس لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل. قلت (يعني ابن رجب): وقد امتحن وأوذي مرات, وحبس الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة, منفردًا عنه, ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ[1].

قال الحافظ: اعتقل مع بن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبًا بالدرة, فلما مات ابن تيمية أفرج عنه, وامتحن مرة بسبب فتاوى ابن تيمية[2].

قال ابن كثير: وقد كان متصديًا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية, وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره[3].

---

1 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/448.

2 () البدر الطالع: 3/401.

3 () البداية والنهاية: 14/246 – 247.

والمقصود بمسألة الطلاق: أن الذي زوجته ثلاث تطليقات بلفظ واحد؛ هل يحسب عليه طلقة واحدة أم ثلاث؟ الذي يذهب إليه ابن تيمية وكذلك تلميذه ابن القيم – أنها تقع طلقة تبعًا للنص الوارد في هذه المسألة, وقد سبقهم إليها جمع من الصحابة والتابعين ومن وعمدتهم ما روى مسلم: (1473), عن بن عباس رضي الله عنهما: قال: كان الطلاق على رسول الله وأبي بكر وسنتين طلاق الثلاث واحدة, وانظر مزيدًا من البسط في (مجموع الفتاوى), وانظر (جلاء العينين محاكمة الأحمدين للآلوسي) ص 268 وما بعدها.

9- مؤلفاته:

قال ابن كثير: له من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير, وكتب بخطه الحسن شيئًا واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف[1].

قال ابن رجب: وصنف تصانيف كثيرة جدًا أنواع العلم. وكان شديد المحبة للعلم و وكتابته و ومطالعته وتصنيفه, واقتناء الكتب[2].

قال الحافظ ابن حجر: وكل تصانيفه مرغوب

---

1 () البداية والنهاية: 14/246.

2 () ذيل طبقات الحنابلة: 2/449.

فيها بين الطوائف. وهو طويل النفس فيها؛ يتعـانى الإيضاح جهـده؛ فيسـهب جـدًا. وكـان مغـرى بجمع الكتب؛ فحصل منها ما لا يحصر , حـتى كـان يــبيعون منها بعد موته دهــرًا طــويلاً, ســوى اصطفوه منها لأنفسهم[1].

10- من تصانيفه[2]:

- روضة لمحبين ونزهة المشتاقين. (مطبوع).
- زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد. (مطبـوع بتحقيق شعيب أرناءوط في 5 أجزاء).
- إعلام المـوقعين عن رب العـالمين. (مطبـوع في 4 أجزاء).
- تهـذيب سـنن أبي داود. (مطبـوع مع مختصر الحافظ النذري وشرح معالم السنن للخطابي).
- الجيـــوش الإســـلامية عل حــــرب والجهمية. (مطبوع بتحقيق الدكتور عواد عبد الله المتق).
- الطـــرق الحكمية في السياسة الشـــرعية. (ويسـمى الفراسة وقد طبع مـرارًا ويقـوم الشـيخ مشهور حسن بتحقيقه).
- شــفاء العليل في مســائل القضــاء والحكمة والتعليل. (مطبوع).

---

1 () الدرر الكامنة: 3/402.

2 () ما بين القوسـين ( ) إضـافة من المجلة إتمامًا للفائـدة واخترنا من التحقيقات أجودها.

- كشف الغطـاء عن حكم سـماع الغنـاء. (طبع باسم الكلام على مســألة الســماع بتحقيق عبد العزيز).
_ أحكــام أهل الذمــة. (مطبــوع في مجلــدين بتحقيق صبحي الصالح رحمه الله).
- شــرح الشــروط العمريــة. (لا نعلم عنه شـيئًا ولعله الذي سبق).
- تحفة المودود بأحكام المولود. (مطبوع).
- مفتاح دار السـعادة. (مطبـوع مـرارًا وحققه قريبًا الشيخ علي حسن الحلبي).
- شــرح الشــروط العمريــة. (لا نعلم عنه شـيئًا ولعله الذي سبق).
- تحفة المودود بأحكام المولود. (مطبوع).
- مفتــاح دار السـعادة. (مطبـوع مـرارًا وحققه قريبًا الشيخ علي حسن الحلبي).
- الصواعق المرسـلة على الجمهية والمعطلـة. (طبع المختصر وطبع قطعة منه بتحقيق في أربعة مجلدات).
- الكافية الشـافية. (وتسـمى القصـيدة النونية طبعت مرارًا ولها شروح عدة).
- مـدارج السـالكين. (طبع بتحقيق محمد حامد الفقي في ثلاث مجلدات).
- رسـالة في اختيـارات تقي الـدين ابن تيميـة.

(هذه لابنه وهي رسالة صغيرة مطبوعة).

- الفروسية. (طبعت مرارًا وأجودها ما الشيخ مشهور حسن لسلمان).

- طب القلوب. (ادعى لويس معلوف أنه برلين مخطوط على ما نقله الزركلي في الأعلام).

- الوابل الصيب من الكلام الطيب. (طبع مرارًا وبعدة تحقيقات).

- الروح. (مطبوع بتحقيق الدكتور بسام علي سلامة).

- الفوائد. (مطبوع وأجودها ما النفائس).

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. (مطبوع بتحقيق عبد اللطيف أل محمد الفواغير).

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. (مطبوع بتحقيق محمد عفيفي).

- الجواب الكافي. (مطبوع بتحقيق محمد الرزاق الرعود).

- التبيان في أقسام القرآن. (مطبوع بتحقيق نبيل بن منصور بصارة).

- طريق الهجرتين أو (طريق السعادتين) أو (سفر الهجرتين وباب السعادتين). (مطبوع بتحقيق عمر محمود).

- عدة الصابرين. (مطبوع).

- هداية الحيارى. (مطبوع).
- تفسير المعوذتين. (هذا جزء من كتاب بدائع الفوائد طبع مستقلًّا بعد تحقيقات).
- التفسير القيم. (هذا ليس تأليفًا وإنما الشيخ ادريس الندوي من تفسير الإمام).
- بدائع الفوائد. (مطبوع).
- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على الأنام. (مطبوع بتحقيق شعيب ارناؤوط).
- رفع اليدين في الصلاة. (يوجد وخطوط مكتبة السعودية بالرياض مخروم الأول في ورقة).
- عقد محكم الأحقاء بين الكلم الطيب الصالح المرفوع إلى رب السماء. (لعله الوابل الصيب أو كتاب آخر).
- شرح أسماء الكتاب العزيز. (لا نعلم شيئًا).
- بيان الدليل على استغناء المسابقة التحليل. (لا نعلم عنه شيئًا).
- نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول. (طبع الكتاب بهذا الاسم وباسم المنار المنيف بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة).
- نكاح المحرم. (لا نعلم عنه شيئًا).
- تفضيل مكة على المدينة. (لا نعلم عنه شيئًا).

- فضل العلم. (لا نعلم عنه شيئًا).
- حكم تارك الصلاة. (طبع باسم الصلاة وحكم تاركها).
- نور المؤمن وحياته. (لا نعلم عنه شيئًا).
- حكم إغمام هلال رمضان. (لا نعلم عنه شيئًا).
- التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير. (لا نعلم شيئًا).
- إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان. (طبع بتحقيق العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله).
- جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه الشيطان. (لا نعلم عنه شيئًا).
- بطلان الكيمياء من أربعين وجهًا. (لا نعلم شيئًا).
- الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة لقومه. (لا نعلم عنه شيئًا).
- الفتح القدسي والتحفة المكية. (لا شيئًا).
- أمثال القرآن. (طبع كرسالة وهو جزء كتاب أعلام المؤمنين).
- شرح الأسماء الحسنى. (لا نعلم عنه شيئًا).
- أقسام القرآن.
- المسائل الطرابلسية. (لا نعلم عنه شيئًا).
- الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم.

(لا نعلم عنه شيئًا).

- الطاعون. (لا نعلم عنه شيئًا).

- الكبائر. (لا نعلم عنه شيئًا).

للمؤلف مصنفان آخرين لم يذكرهما الشيخ سعد نذكرها:

1- الرسالة التبوكية مطبوعة.

2- رسالة أحد إخوانه. (مطبوع عدة مرات).

القَصيدَة

1- إذا طلعَتْ شَمْسُ النَّهَار فسَلموا[1] عَلَيْكُمْ

يقـول رحمه الله تعـالى: في بداية كل يـوم، الصباح، فإني أسلم عليكم، وعلامة هذا التسليم هو شروق الشمس. فعليكم أنتم أن تردوا عليَّ السـلام؛ وقت شروق الشمس هو وقت تسليمي عليكم.

2- سَـلامٌ مِنَ الـرَّحْمَنِ وَأَنْعُم[2]

وهذا السلام هو من الله سبحانه عليكم في كل وقت، ومع هذا السلام: ريح رائحة الريحان، أو يكون معه الراحة من تعب الدنيا ونصـبها مع الريحـان ورائحته الطيبـة، هذا السلام كذلك زيادة فرح ومسرة.

3- عَلى الصَّـحْبِ وَالإِخْـوَا وَأَنْعَمُوا[3]

الصـاحب أخص من الأخ، والأخ أعم. وقد يكـون لك أخ ولم تـره بعينـك. ولكن الصـاحب لا بد

[1] () أمارة: الموعد أو الوقت (القاموس المحيط).
[2] () رَوح: نسيم الريح.
[3] () الألى: الذين (المعجم الوسيط).
جـادوا: أجـاد: أتى بالجيـد، والجـواد: السـخي (القـاموس المحيط).
رعوهم: أحاطوهم وحفظوهم (لسان العرب).

أن يصحبك. يقول المولى جل ذكره: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**». رواه مسلم (249)، والبخاري (136) مختصرًا.

وقد تعارف أن القائل إذا أطلق لفظ: الصحابة؛ فالمقصود بهم صحابة رسول الله ﷺ إلا إذا كأن يقول: أصحابي، أو أصحابنا، أو أصحاب فلان.

أما الوِلد بالكسر: جمع وَلد. فهو يزف هذا السلام من الله إلى الجميع: الأصحاب، والإخوان، والأولاد، الذين أحاطوهم وحفظوهم، وأحسنوا إليهم وأتوهم بالجيد من القول والفعل، وزادوا عليهم من الإنعام.

4- وَسَائِرِ مَنْ لِل... مَقَدَّمُ[1]

وكذلك سلامه على جميع من ... بالسنة الخالصة، وهي طريقة النبي ﷺ وأصحابه، ومن تبعهم وسار على نهجهم ولم يعدل عنها إلى غيرها؛ ... الصنف من الناس هو المقدم على غيره في كل ... حتى في إلقاء التحية.

5- أولئِكَ أتْباعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ

وَلولاهُمُ ما كانَ في ...

---

[1] () المحضة: الخالصة التي لم يخالطها غيرها.
زاغ: مال (مختار الصحاح).

الذين ساروا على السنة الخالصة هم أتباع النبي في الـدنيا، وهم الـذين يحشـرون تحت لوائه القيامـة، وهم حـزب الله وحـزب رسـوله ، الـذين أثبت الله سبحانه لهم الغلبة في الدنيا والفلاح القيامة. فهم الذين أخـذوا العلم، وجـدُّوا في تعلمه وإتقانـه، وتعليمه إلى مَن بعـدهم، فلـولاهم لـذهب العلم ودرس، وضاع الدين، واختلط الحق بالباطل، وارتد الناس عن الإسلام.

6- ولــولاهمُ كَــادَتْ تَمِـ ... هُمُ[1]

إن هـؤلاء الـذين تمسـكوا بالسـنة الخالصة هم الـذين بينوا للناس أمـور دينهم؛ حـتى لا يلتبس عليهم الحلال الحرام؛ فتضـطرب أمـورهم، ولكن وجـودهم بين النـاس كالجبــال للأرض، فهم يتصــدون لكل حادثــة، ويقــدمون للنــاس من الكتــاب والســنة ما يصــلح لهم وحياتهم.

7- ولــوْلاهُمُ كَــانَتْ ظ ...
وَلَكِنْ هُمُ فِيهَا بُدُورٌ

---

[1] () كادت: كـاد: فعل نـاقص يـدل على قـرب وقـوع الخـبر (معجم الشوارد النحوية).
تميد: تتحرك وتضطرب. رواسي: الجبال الثوابت الرواسخ.
أوتادها: الوتد: ما غرِّز في الأرض أو الحائط من خشب.

يشبِّه أهل العلم المتبعين للسـنة بـالقمر الـذي كيف يزيح الظلام الدامس، وهم أيضًا كالنجوم يستدل بهم إلى معرفة أحكام الشـرع، كالـذي يسترشد بـالنجوم إلى موضعه. فالنـاس يسـتنيرون طـريقهم ويسترشـدون بتوجيهاتهم ونصائحهم.

8- أولئِكَ أصْـــــحَابِي

وَأنْعِم [1]

أولئك الصنف من الناس الـذين ذكـرهم سـابقًا؛ وهم أتباع السنة المحضـة، هم أصـحابه، فابـدأ بالترحيب والسلام، وعجل بهم، ثم ابدأ وعجل بذكر الطيبين بالفرح والمسرة.

9- لِكُـلِّ امـرُئٍ منْهُمْ سَـا

يُبَلغُهُ الأدْنى إليْهِ وَيَنْعَمُ

لكل واحد من هـــؤلاء الســـابقين المصنف رحمه الله يخصه بنفسه، وهذا السلام يبلغه له الأدنى منـه؛ أي: إن الـذي سـمع المصـنف يبلغه إلى الأدنى منـه، والثـاني يبلغه الأدنى منه، وهكذا.

وهذا السلام مصحوب بالترفه والفرح والمسرة.

10 فَيَا مُحْسِـنًا بِلـغْ سَـلاهِ

---

[1] () حي هلا: هلم أو أقبل وعجل. حيَّ: بمعنى أعجل، وهلا: معناه حث واستعجال (معجم الشوارد النحوية).

مُحبُّكمُ يَدْعُو لكُمْ وَيُسَلمُ

فيا كل من يريد أن يفعل الفعل الجميل والفعل الحسن، بلغ سلامي إلى أولئك الذين سبقت الإشارة إليهم، وأخبرهم بأن المصنف من الذين يحبكم في ويدعو لكم الله سبحانه بالتوفيق والثبات، ويتمنى لكم كل خير، وهو يسلم عليكم.

11 وَيَا لائِمِي فِي حُبِّهِمْ

ألوَمُ[1]

يخاطب من يلومه ويعاتبه وينكر أتباع السنة (المحضة)؛ فيقول له: لو تريثت وتمهلت ثم بحثت عن الحق، سوف يتبين لك بعد التحري أن الذي يقع عليه اللوم هو أنت لا أنا؛ لأنني اتبعت سنة النبي القائل: «**المتحابون في الله على منابر من نور**»، رواه أحمد: (5/237)[2].

فهل يلام من يتبع السنة أم الذي باللوم؟ وإذا كانت محبة الصالحين والأخيار ذنبًا يُلام عليه؛ إذن تكون محبة الأشرار والفجار خيرًا يسعى إليه. وهذا فاسد لا يخفى على أحد.

12 بِأيِّ دَليل أمْ

تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عليَّ

يقول: أنت الذي تنقم عليَّ وتكثر في

---

[1] () لائمي. اللوم: العذل.

[2] () وإسناده صحيح –المجلة-.

على حب أحبابي، وتظن أن حبهم ارتكاب معصية.

هل فعلك هـــذا لك فيه برهـــان أو نص سنة؟

13 وَمَا العَـــارُ إلا بُغْ

وَمَأْثَمُ (1)

العيب كل العيب هو مقتهم واجتنـابهم، وتـركهم غيرهم ممن ناصبهم العداء؛ لا لسيء إلا لأنهم تمسكوا بدين الله، فحبُ غيرهم هو العار والوقوع في الإثم.

14 أمَا وَالذِي شَـقَّ القُلـ

لا تَتَصَرَّمُ (2)

يقسم بالخـــالق ســبحانه الــذي فطر القلـــوب المحبة، حيث أودع هذه الغريزة داخل القلـوب الضـعيفة، ثم جعلها قادرة على التحمل وعدم التقطع.

15 وَحَمَّلها قَلبَ المُحِبِّ

ليَضْعُفُ عن حِمْل

16 وَذَللهـــاَ حَتَّى اسْـــتكا

تَتَلعْثَمُ (3)

---

3 () تنقم. نقم عليـــه: عتب عليـــه. انتقم الله منـــه: عاقبه (مختار الصحاح).

1 () عداهم: عدا: جمع أعداء.

2 () تتصرم: تصرم: تجلد وتقطع.

3 () وذللها. ذلَّ: من اللين وهو ضد الصعوبة. تذلل: خضع.

استكان: خضع (نهاية).

لصولة. صال: استطال أو وثب. تلوى. لوى عن الأمر: تثاقل.

جعل الله سـبحانه المحبة وجعله قادرًا على حملها مع ثقلها، بينما هو يستثقل حمل القميص أو الـرداء الـذي عليه ولا يقـوى حمله ويستثقل منه.

ومع هذا فهي خاضعة ذليلة قـادرة على تحمل تطـاول المحبة، فلم تتردد ولم تتباطئ في الاستجابة لندائها.

17 وَذَلـلَ فِيها أنفُسًـا

وَهيَ حُوَّمُ[1]

وجعل سـبحانه وتعـالى النفـوس الـتي تحمل القلـوب ذليلة خاضـعة أكـثر من خضـوعها المعتـاد، النفوس التي تحمل هذه القلـوب ذليلة خاضـعة أكـثر خضـوعها المعتـاد؛ لأن النفـوس الـتي تحمل المجروحة التي أصابتها سهام المحبة تكون دائًا مستكينة ليس لها هم إلا لقاء المحبوب. والمـوت فوقها وهي تحته.

18 لأنْتُمْ عَلى قُـرْبِ الـ

أحبَّتُنا إن غبتُمُ أوْ

الذي يكون ذكـره في القلب ومحبته في الفـؤاد فهذا هو الحبيب الذي يذكر دائمًا ولا يُنسـى، أكان قريب المنزل أو لم يكن، وسواء أكان

تلعثم: تمكث وتوقف وتأنى (القاموس المحيط).

[1] () حياض المنايا. حيـاض: جمع حـوض. المنايـا: جمع منية وهي الموت.

أم غائبًا فإن طيفه لا يكاد يفارق الخيال.

19 سَلوا نَسَمَاتِ الرِّيح كمْ يُكْتَمُ[1]

20 وَشَـاهِدُ هَـذا أَنَّها تتكلمُ[2]

يعبر، رحمه الله، عن شدَّة حبِّه، ويريد أن يبرهن على صدق ادِّعائه فيقول: سلوا نسمات الـريح. أي كـأن الهـواء الـذي يمر عليكم مشـبع بـالحب الـذي يكنه قلـبي. حب عاشـق، أو تكتب حبـهُ ظاهر يشعر به الجميع، ولا يكتم عنه أحد. وعلاقة ذلك أن الـريح الـتي تمر بكم تحمل معها وعظيم شوقي، فهي تريد أن تنشر هذا لكم، إلا أنها لا تتكلم.

21 وكُنْتُ إذا اشْ الجميل تَفصَّمُ[3]

---

[1] () صب: الصبابة: الشوق، أو رقته، أو رقة الهوى. شوقه. الشوق: نزاع النفس، وحركة الهوى.

[2] () تبث: تظهر وتنشر. الوجد: الهوى والحب الشديد (تاج العروس).

[3] () الجـوى: هـوى بـاطن، أو الحـزن، أو شـدة (القاموس المحيط). عـرى: جمع عـروة. والعـروة من الـدلو والكـوز: المقبض. تفصم: تتكسر.

22 أعلـلُ نَفْسِـي بِـالتَّلاقِ
وَأوهمُهَا لكِنَّهَا تَتَوَهَّمُ[1]

23 وأتْبِعُ طرْفِي وِجْهَـةً أن
وَمُخَيَّمُ[2]

وكنت إذا اشـــتد بي ألم الهـــوى وشـــدة النفس إلى رؤياكم، وأصـابني الحـزن العميق فراقكم، وأوشك أن تتقطع وتتكسر مقابض الصـبر التي أتشبت بها؛ فـإذا أصـابني هـذا الشـعور (أعلل نفسي بالتلاقي).

وبعد أن يســتحكم بي الشـــوق وألم الفـــراق أشاغل نفسي وأحدثها بأن وقت اللقاء قد قرب، وأنا أعلة أنه وَهمٌ لا حقيقة له، ولكني أجلب هذا الظن لنفسي لكي تستقر وتسكن، وأجعل عيـني دائمًا في تـرقب إلى الـتي تسـكنونها، وقلـبي متوجه إليكم لعلي أفـوز بنظـرة؛ لأن نفسي دائمًا تحـدثني بقـدومكم كلما فتراني دائم التطلع إلى جهتكم لأن لي بها ديارًا ومنازل.

24 وأذْكُرُ بيتًا قالهُ بَعْضُ مَنْ
مُغْرَمُ[3]

---

1 () أعلل: أشاغل. وأوهمهـا: الـوهم: من خطـرات القلب. تتوهم: تظن.

2 () طرفي: الطرف: العين، أو البصر (القاموس المحيط). حماها: حمى: المكان الذي لا يقرب. مربع: منزل القـوم الربيع خاصة. الرَّبع: الـدار بعينها حيث كـانت. مخيم: خيَّم بالمكان: أقام به. تخيم: ضرب خيمة.

25 أسَـائِلُ عَنْكُمْ كُـلَّ

وَأسلمُ [1]

بعد أن يتجه إلى الجهة الـتي هم فيها بصره، فإن هذا لا يخفف لوعته ولا يسكن شـيئًا آلامه، فيتـذكر ذلك الـبيت الـذي قاله أحد الشـعراء القدماء عندما اشتد عليه شـوقه وضـاع منه صـبره فقال: «أسائل عنكم... » أي بعد أن انقطعت أسـباب الوصال، ولا أمل في التلاقي، فـإني أسـأل عنكم الـذاهب والقــادم، وأتقصى أخبــاركم، وأحــرك رأسي إيمــاءً جهتكم، ومع هذه الحركة ألقي عليكم السلام.

26 وَكَمْ يَصْـــبِرِ المُشْـ

تتضرَّمُ [2]

إن المحب الـذي حـرق الشـوق قلبـه، وألم يعصر فؤاده، فإنه يصبر على فراق محبوبه صبرًا مرغمًا عليه؛ فهو صـابر، ولكن نـار الحـزن مشـتعلة في قلبه تكاد تهدأ.

27 أمَا وَالـــذِي حَجَّ الم

وَأحْرَمُوا [3]

---

3 () خلا: مضى. ضل: الضـلال ضد الهـدى، يعـني ضـاع صبره ولم يهتد إليه.

مغرم: أسير الحب، أو المولع بالشيء.

1 () غاد. الغدو: السير أول النهار. رائح: الرواح: السير آخر النهار.

2 () الأسى: الحزن. تتضرم: تشتعل.

يقسم بالله سبحانه، الذي جـاءه النـاس من فج عميــق، قاصــدين ذلك المكــان الــذي ليجعل في بيته الحرام، الذي جعله قبلة للناس، فهم يتوجهـوا إليه بقلـوبهم ووجـوههم. وقد فـرض الله ســبحانه الحج على النـــاس في واحدة للمستطيع، ثم جعل التكرار سنة، ورغب فيه، كما روى الترمذي وغـيره من حـديث عبد بن مســعود رضي الله عنه عن النــبي **«تَابِعُوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»**[1].

يقول: «**ولبوا له**... » أي: إنهم عنـدما وصـلوا إلى الميقـات، وهو المكـان الـذي لا يتجـاوزه أي إنسـان الحج أو العمــرة إلا وهو قد لبس لبــاس الإحــرام. فعند وصولهم ذلك المكان رفعـوا أصـواتهم مهللين له سـبحانه وتعالى.

28 وَقَـــدْ كشَـــفُوا

وَتَسلِمُ[2]

---

3 () لبــوا: تلفظــوا بالتلبيــة، وهي صــيغة حــددها الشــرع، وستأتي.
المهل: المكان الذي يهل فيه الحاج أو المعتمر.
أحرموا: دخلوا في الإحرام، وهو التقيد بأمور حددها الشرع.

1 () رواه أحمــد: 1/387، والترمــذي: 810، والنســائي: 5/115، وابن خزيمة: 2512.
[ابن ماجه 2287 والحــديث صــحيح، السلســلة الصــحيحة 1200، المجلة].

بعد أن يصل الحــاج أو المعتمر يستحب له أن يغتسل ويتنظف، وإذا احتاج إلى تقليم الأظافر أو حلق الشعر فعل ذلـك، ثم شعره ويتطيب، ثم يتجرد من الملابس المخيطة ويلبس رداء وإزارًا. أما النســاء فيحــــرمن ملابســهن. ذكر المصــنف أنهم كشــفوا رؤوســهم تواضـعًا لعظمة الله الـذي تخضع الوجـوه له وتُسلِم.

وهـذا من بـاب ذكر الحِكمة من ورود الحُكم، جيد أن يعرف الإنسان بعض الِكَم من ورود الأحكام، ولكن الأصل أن يأخذ الإنســان الحُكمَ على الله به وقدَّره، ثم بعد ذلك يستنبط بعض الحِكَم إن استطاع، لا أن يُعلق الحُكْمَ على معرفة الحِكمة.

29 يُهلِونَ بالبيْـدَاء لبَّيْك رَ أنْتَ تَعْلمُ[2]

بعد أن تجاوزوا الأماكن التي أحرمـوا من عنـدها

---

[2] () تعنو: قال الحق سبحانه: وَعَنَتْ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ قال الفراء: عنت الوجوه: نصبت له وعملت له، العرب).
قـال ابن الأثـير في النهاية عن حـديث (إنه دخل مكة وهو من (عنا يعنو) إذا ذل وخضع.

[2] () يهلون: أهل الملبي: رفع صوته بالتلبية.
البيداء: الصحراء.
لبيـــك: أي أنا مقيم على طاعتك إلبابًا بعد إلبـــاب إجابة (القاموس).

وساروا في تلك الصحراء، فإن أصواتهم لا تفتر عن الـذكر الـذي سـنه لهم رسـول الله ﷺ؛
الصوت بالتلبية وهي: لبيك اللهم لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملـك، لا شـريك لـك. فهم يلهجـون بهـذا الـذكر تفتر ألسنتهم عنه.

30 دَعَـــاهُمْ فلبَّوْهُ رٍ منْهُمُ[1]

دعا ربُّنا سـبحانه وتعـالى عبـاده لزيـارة الحـرام، حيث يقـول مخاطبًا الخليـل، عليه نبينا الصلاة والسلام: ﴿ **وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِـالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً** ﴾[2]، ويقـول سـبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْـتَطَاعَ إِلَيْـهِ** ﴾[3].

عن أبي هريـــرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**»[4].

هذه دعوة من الله سـبحانه وتعـالى لعبـاده يـزوروا بيتـه، فتقـاعس من خذله اللـه، لاستجابة هذه الدعوة من وفقه الله لطاعته. استجابوا له وقلوبهم يعصـرها الشـوق الـذي تولد منه الحب والرضـا؛

---

1 () لبَّوه: أجابوا الدعوة.
2 () سورة الحج:17.
3 () سورة آل عمران:97.
4 () رواه مسلم: 1337.

فهم راضون عنه، ويسألونه أن يرضى عنهم؛ فلما وألحـــوا عليه بالمســـألة والإكثـــار من ذكـــره وتحميده، كانت استجابته لهم أسرع من استجابتهم له.

31 تَــــرَاهُمْ عَلى الأنْ

وَأنْعَمُ[1]

تـراهم قد ركبـوا تلك الـدواب الـتي أهزلتها الأسـفار، وأذهبت لحمهـــــا، وهم علها في الصـــــحراء الأطراف، وقد غيَّر الـتراب وجـوههم، وأشـعث رؤوسـهم المكشوفة. ومع ما فيه من ضنك العيش وشــدته؛ في غاية الفرح والسرور، وكأنهم في رغد العيش ونعيمه؛ لأنهم يــأملون من مــولاهم سـبحانه أن يجــازيهم لاقوه من نصب في سبيله؛ بأن يمنحهم رضوانه وأن يدخلهم جنته.

32 وَقَــدْ فَــارَقُوا الأوْطـ

والتَّنَعُّمُ[2]

33 يَسِــــيرونَ مِنْ أق

أسْلمُوا[3]

---

1 () الأنضـــاء: جمع نضو ونضـــوة وهو المهـــزول (القاموس).
شعثًا: الأشعث: المغبر الرأس وكذلك الملبد الشعر.
غبرًا: ترى عليهم الغبار.

2 () رغبــة: رغب فيه رغبــة: أراده. لم يثنهم: لم يكفهم يصرفهم.

3 () أقطارها: القطر: الناحية والجانب، وجمعه: أقطار.

لقد تركوا الأهل وتحملـوا ألم فـراقهم، وتغربـوا عن الأوطان وتحملـوا ألم الحـنين إليهـا. تركـوا هــذا رغبة بما عند الله ســبحانه من النعيم وتحملوا مشقة السفر وما به من مخاطر وآثروه على الملذات والنعيم والعيش الرغيد بين الأهل والإخــــــوان، ولم المخاطر.

فجاءوا ملبين لـدعوة الخـالق سـبحانه من جميع الأرض؛ منهم الماشي على رجليه، ومنهم الراكب على راحلتــه، والجميع قد أســلم وجهه وقلبه إلى المــولى في علاه.

34 وَلَمَّا رأتْ أبصارُهمْ بَ
تَضرَّمُ[2]

35 كـــأنَّهُمُ لمْ يَنْصَـــبُوا
عَنْهُمُ[3]

ولما وصلوا إلى البيت الحرام، ومتعوا أبصـارهم برؤيته؛ هذا البيت الذي طالما اشـتاقت إليه العباد، واحترقت من شدة الوجد لرؤيته.

وبعد الوصـــول والتمتع بالرؤية اطمـــأنت

فجاجها: الفج: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع فجاج.
رجالًا: الراجل: ضد الفارس، أي الذي يمشي على رجليه.
ركبانًا: الذين يركبون الدواب وغيرها.

2 () الورى: الخلق. تضرم: تشتعل.

3 () ينصب: يتعب. ترحل: ذهب.

واستقرت الأفئدة، واستراحت الأبدان، وذهب الألم؛ وكأن جميع ما لاقوه من وعثاء السفر وشدته ونصبه ومشقته قد ذهب كله عنهم؛ لأن السعادة التي أنستهم ذلك كله.

36 فللـــــهِ كَمْ مِنْ

تَقَدَّمُ (1)

37 وَقَدْ شَرَقتْ عَيْنُ المُحِبِّ

وَيَسْجمُ (2)

يتعجب من كثرة ما تذرفه العيون من الدموع السائلة على الخدود، وكلما خرجت دمعة تبعتها أخرى مباشرة ودون انقطاع، وقد امتلأت عيونهم بالدموع، فأصبحوا لا يستطيعون مشاهدة البيت بوضوح، أصبح الدمع حاجزًا بين عيونهم وبين البليت؛ فهم ينظرون إليه من خلف الدموع التي قد ملأت العيون مستمرة ذرف المزيد من الدموع.

38 إذا عَايَنْتــــــهُ ا

التَّألمُ (3)

---

1 () عبرة: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء في الصدر.
مهراقة: أهراقه يهريقه فهو مهريق ومهراق: يعني (القاموس).
على آثارها: تأتي بعدها، كأنها تمشي على أثرها.

2 () شرقت: امتلأت حتى غصَّت، لأن الشَرَق: الغصة، والغصة: ما اعترض في الحلق فأشرق.
يسجم: يسيل.

إن بيت الله الحـرام، جعل الله فيه خاصـية القلوب إليه، فهو يأسِرُ قلوب المحبين.

وكذلك لا تمل الأبصار من النظر إليه، فإذا أمعن النـاظر زال الظلام عن عينيـه، وكـذلك ينشـرح صـدره، ويطمئن قلبه، ويزول عنه همه وغمه.

39 وَلا يَعْـرِفُ الطـ... وَالشَّوْقُ أعْظم[1]

40 وَلا عَجَبُ منْ ذَا فحِينَ أ... إلى نَفْسِهِ الرَّحْمنُ فَهوَ ...

إذا أبصر الإنسـان النـاظر إلى الـبيت وشـرفه وحسـنه وجماله فإنه يتعلق بـه، بحيث صرف بصره عنه فإنه يعود لينظر إليه مرة لما يصـيبه من الشـوق إليه ولا يسـتطيع أن على عدم النظر إليه.

وليس في هـذا عجب، ولا هو بـالأمر وذلك لأن الله سبحانه هو الذي شرفه وأضافه إلى نفسه العلية؛ حيث قال: ﴿ **وَطَهِّرْ بَيْتِيَ** ﴾[2].

وقال سـبحانه: ﴿ **أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ** ﴾[3]؛ فيقـال: بيت الله.

---

3 () الكئيب: الحزين.

1 () يعرف: يصبر: (لسان العرب). الطرف: العين.

2 () سورة الحج: 26.

3 () سورة البقرة: 125.

41 كَسَاهُ مِنْ الإجْلالِ أعْظَمَ مَعْلمُ[2]

42 فمِنْ أجْل ذَا كُلُّ القُلوبِ وَتَخْضَعُ إجلالًا لهُ وتُعظمُ

إن الله سبحانه وتعالى ألبس هذا البيت لباس وإكرام، ومزجه بحسن لا نظير له، وجعل هذا علامة فلأجل هذا إن العيون إذا رأته انخلعت القلوب شوقًا وانقيادًا إليه وتعظيمًا، ولا تصبر على فراقه.

43 وَرَاحُوا إلى التَّعريـ وَيَكْرِمُ[3]

بعد ما وصف لنا حال المحبين حينما البيت الذي طالما منَّوا أنفسهم بمشاهدته والصلاة فيه. وها هو يصف لنا ذهابهم إلى عرفات الكبير، وسؤال الجواد الكريم أن يمن عليهم بالرحمة والمغفرة.

44 فَلِلّهِ ذاكَ المَو

---

[2] () الإجلال: التعظيم. حلة: إزار ورداء، ولا تكون إلا من ثوبين.
الطراز: الهيئة. الملاحة: ملح الشيء فهو مليح أي: حسن.
مَعْلم: ما يستدل به. وقد تكون: مُعْلمُ: هو الذي يخبر بذلك.

[3] () التعريف: عرفات، وهو موقف الحجاج يوم التاسع ذي الحجة.
يجود: جاد وأجاد: أتى بالجَيِّد فهو مجواد.

ذاكَ أعْظمُ[1]

تعجب من ذلك الموقف العظيم الذي يضم الناس من جميع أشكالهم وأجناسهم، وهو في بعض جوانبه قد يشبه يوم القيامة، إذ إن الناس على اختلاف مراتبهم في قد اجتمعوا في مكان واحد، وفي زمن واحد، لباسهم واحد، ولا يستطيع الناظر أن يميز بين الغني والفقير، ولا بين الشريف والوضيع، ولا يشبهه في بعض الجوانب لا في جميعها، حيث إن يوم القيامة أعظم وأعظم.

45 وَيَدْنُو بِهِ الجَّبَارُ[2] **يُبَاهِي بِهِمْ أمْلاكَهُ فَهوَ**

46 يَقُولُ عِبَادِى قدْ أتَوْنِ **وَإِنِّي بِهِمْ بَرٌّ أجُودُ**

47 فأشْهِدْكُمْ أنِّي غفـ **وأنْعَمُ**[3]

يشير إلى حديث جابر رضي اه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم عرفة فإن الله

---

1 () يوم العرض: يوم القيامة.

2 () يدنو: ينزل ويقرب، مع أنه قريب بعلمه في كل وزمان.
يباهي: يفاخر.

3 () أملوه: الأمل: الرجاء؛ يعني: ما كانوا يرجونه، ويتطلعون إليه.
أنعَم: فعل كذا، وأنعم: أي زاد (مختار الصحاح).

من السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول:... أشهدكم أني قد غفرت لهم... الحديث»[1].

والحديث في سنده مقال، وانظر ابن حبان: 3853، والسلسلة الضعيفة للألباني: 679؛ ويشهد لبعض فقراته في الحديث المتقدم تحت رقم: 45[2].

والحديث يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى الملائكة على أنه غفر ذنوب جميع أهل الموقف، وأعطاهم جميع ما كانوا يطلبون ويرجون ويتمنون، وزادهم زيادة من فضله على طلباتهم.

48 فبُشْـــــــرَاكمُ يا

بِهِ يَغْفِرُ اللهُ الذنوبَ

المصنف، رحمه الله تعالى، يزفُّ البشرى العظيمة الحارة إلى أهل الموقف في عرفات، بأن الله تعالى ذنوبهم وأدخلهم في واسع رحمته.

49 فَكَمْ مِنْ عَتِيق فِيــهِ

---

1 () رواه ابن خزيمة في صحيحه: 2840، والبغوي في شرح السنة: 1931.
[أشار ابن القيم للحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره بلفظ: «ما من يوم أكثر من أن نُعْتقَ اللهُ فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟» المجلة].

2 ()[الشارح لم يشر إلى أي حديث، ولعله يقصد ما من حديث عائشة في مسلم، المجلة].

أرْحَمُ[1]

أناس كثيرون حررهم الله سبحانه في هذا اليوم من أسْر الذنوب والخطايا، وتجـاوز عنهم وغفر زلاتهم؛ لأنه جواد كريم رحيم بعباده.

وهنـــاك آخـــرون لا يزالـــون يلحُّون بالدعاء ويطلبون منه أن يغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم، وهو سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم على أنفسهم.

50 وَما رُئِيَ الشيْطانُ أغْيَظ ... الأمُ[2]

51 وَذَاكَ لأمْر قَدْ رَآهُ فغاظهُ ... وَيلطِمُ[3]

52 لمِــاَ عَــاينَتْ عَيْنَــاهُ ... العَرْشِ تُقْسَمُ[4]

لم يمر على الشيطان يوم هو أكـثر وأشد

---

[1] () عتيق: العتق: الحرية؛ يعني: قد فكّ أسره من ذنوبه. يستسعى: استسعى العبدَ؛ يعني: كلفه من العمل ما يؤدي عن نفسه إذا أعتق بعضه ليعتق المحيط).

[2] () أغيظ: الغيظ شدة الغضب. الورى: الخلق. ألأم: اللئيم: الدنيء الأصل الشحيح النفس.

[3] () يحثـوا الـتراب: يـرمي الـتراب على نفسه (النهاية غريب الحديث). لطم: اللطم: الضرب على الوجه بباطن الراحة.

[4] () تقسم: تجزأ وتوزع.

ولا أعمق حزنًا من يـــوم عرفـــة؛ وغضـبه- فهو حقـير ذليل لـئيم؛ وذلك لما يـرى إقبـال العبـاد على ربهم، وكـثرة دعـائهم، تضرعهم، وكذلك ما يرى من تنزل رحمات الله على عباده.

عن طلحة بن عبيد الله بن كرز أن رسول الله قال: (ما رئي الشيطان يومًا هو أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيض منه في يوم عرفــة، وما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام..... الحديث)[1].

53 بَنى مَا بَنَى حَتَّى إذَا ظنَّ أَنَّهُ مُحْكَمُ[2]

54 أَتَى اللـــهُ بُنْيَانًا لـهُ مِنْ أَسَاسِهِ فخَرَّ عَلَيْهِ سَاقِطًا يَتَهَدَّمُ

55 وَكَمْ قَـدْرُ مَا يَعْلُو الْبِنَاءُ

---

1 () رواه مالك في الموطأ، كتاب الحج، حديث: 245، 1/422، وهو مرسل. قال الزرقاني في شرح الموطأ 2/395: وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.
قال ابن عبد البر في التمهيد 1/116: هذا حديث حسن فضل شـــهود ذلك الموقف المبـــارك، الترغيب في الحج، ومعنى هذا الحديث محفوظ من وجوه كثيرة، وفيه دليل على أن كل من شهد تلك المشاهد يغفر الله له، إن شاء الله.

2 () محكم: متقن البناء.

إِذا كانَ يَبْنِيهِ وَذُو العَرْشِ

إن الشيطان أفرغ كل ما يستطيع من طاقة في إضلال الناس، واستخدم جميع جنده، حتى الناس قد هلكوا جميعهم؛ لما يرى من ارتكاب الفواحش، وإتيان المنكرات، وفرح بذلك، لكنه رأى رجوعهم إلى الله وكثرة دعائهم وتضرعهم بارئهم، وكذلك ما يرى من رحمة الله وقبولهم عنده، وغفرانه لذنوبهم جميعًا، وإرجاعهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

وبهذا يكون كل ما بناه الشيطان قد تهدم ولم أثر، وكيف للبنيان أن يرتفع إذا كان الشيطان يبني يهدم؛ فمهما سعى الشيطان في الإفساد بين عباد المؤمنين، فإن الله سبحانه جعل لهم مواسم ينزل عليهم فيها رحمته فإذا تعرض الإنسان إلى نفحات الله فلا عليه من الذنوب شيء.

56 وَرَاحُوا إلى جَمْعٍ فبَاتُوا تَقدَّموا[1]

57 إلى الجمرةِ الكبْرَى تيمَّموا[2]

---

[1] () جمع مزدلفة: سميت به لاجتماع الناس بها. المشعر الحرام: كل مزدلفة مشعر.

[2] () الجمرة الكبرى: هي التى تكون الأولى من جهة الكعبة، والأخيرة من جهة مزدلفة.

58 مَنَــازِلُهُمْ لِلنَّحر يَبْغُــ
ـَ ْ ـَ ُ
يُعَظمُ [3]

ثم يتابع الإمام، رحمه الله تعالى، رحلة بعد وقوفهم في عرفات، وبعد تحقق غروب الشمس، فإنهم ينفرون من عرفــات إلى المزدلفة ويبيتون بها ويصــلون صــلاة الصــبح، ثم الــدعاء المشعر الحرام. قال عمرو بن ميمون: سألت عبد الله بن عمــرو عن المشــعر الحــرام فســكت هبطت أيدي رواحلنا بالمزدلفة قال: أين السائل عن المشعر الحرام؟ هــذا المشــعر الحــرام. وقــال ابن عمر: المشعر الحرام المزدلفة كلها[3].

فيبقى يــدعو ويتضــرع إلى العلي القــدير يسفر حدًّا وقبل شروق الشمس يتوجهون إلى الجمرة الكبرى. وأشار المصــنف، رحمه اللــه، أن وقت رمي الجمرة هو وقت صلاة العيد الذي لا يصــلي إلا إذا ارتفعت الشــمس، وهــذا هو الصــحيح في رمي الجمـــرة. على خلاف ما يفعله الناس؛ فإنهم يمكثون في المزدلفة إلى بعد نصف

رميهــا: تــرمى بســبع حصــيات مثل حصى الخــذف. تيممــوا: قصدوا.

3 () نسك: العبادة أو الذبح، وهو المقصود هنا.

أبيهم: أبو الأنبيـــاء خليل الـــرحمن إبـــراهيم عليه الصلاة والسلام.

3 () تفسير ابن كثير: 1/241، 242.

الليل ثم يذهبون إلى الجمرة فيرمونها قبل الفجـر، وهـذا خلاف السـنة. ويحتج بعضـهم بـأن النـبي رخص للضـعفة من النـاس أن يتقـدموا من مزدلفة إلى الجمـــرة بليل[1]، وهـــذا صـــحيح، يأمرهم أن يرموا قبل الشروق. وإنما الصحيح أن يمكث الحـاج في المزدلفة يـدعو، وقبيل الشـروق يتوجه إلى الجمرة الكـبرى فيرميها بسـبع حصـيات التقطها من المزدلفـة. وبعد الـرمي يـذهبون منازلهم التي هي في منى، فينحروا هـديهم، من الله سبحانه أن يتقبل منهم وأن يمن عليهم من فضله العميم؛ فإنه سبحانه جواد كريم.

وهي (عملية النحـــر) إحيـــاء وتعظيمًا لنسك إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

59 فلوْ كان يُرْضِي اللهَ نَ
سَلمُوا[2]

60 كما بَـذلوا عِنْـدَ الجِ
الدَّمُ[3]

61 وَلَكِنَّهُمْ دَانُـــوا بِوَ

---

1 () انظر صحيح مسلم من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

2 () نحر: ذبح. دانو: ذلوا. طوعًا: انقياد.

3 () بذلوا: أعطوا وجادوا. نحورهم: النحر هو موضع القلادة من الصدر. وهو المكان الذي تذبح الذبيحة.

وَمِيْسَمُ[1]

أمــرهم الله ســبحانه وتعــالى بنحر فاستجابوا له ابتغاء مرضاته، ولو علموا أن مرضاته عنهم تكــون بــذبح أنفســهم لفعلــوا ذلك طــائعين مسرعين في التنفيذ، ومسلمين الأمر إليه سبحانه، ولم يكب هذا مجـرد ظن أو كلام لا واقع لــه، حقيقـــة؛ وأدل دليل عليه أنهم بـــذلوا وأرواحهم وأمـوالهم رخيصة في سـبيله وفي قتـال أعدائه من الكفار.

كما أطـاعوه في القتل والقتـال في المعركـة، فـإنهم أطـاعوه هنا بحلق الـرؤوس، وهـذا هو غاية في الخضـوع علامة على ذل العبد بين يــدي ســيده ومــولاه. إذا معنى كلمة (ميسم) على الجمال فإن المعـنى: إن عملية حلق الرؤوس هي الطريقة التي يبرهن العبد بها على ذله وخضوعه لربه سبحانه وتعالى.

62 وَلَمَّا تَقَضَّوْا ذَلِـكَ التَّفـثَ

تَمَّمُوا[2]

---

1 () ميسم: الجمال وكذلك المكواة.

2 () تقضوا: قاموا بما عليهم من الأعمال حتى فرغوا منها.

التفث: إما أن يكـون وضع الإحـرام عن حلق الـرأس الأمور التي كانت محظـورة حـال الإحـرام، وإما أن هو المناسك نفسها، كما ذكر ابن كثير في تفسيره: 3/217.

النذر: إما أن يكون النذر الذي أوجبه الإنسان على نفسه، أو ذبائح الهدى، أو جميع أعمال الحج.

بعد أن فعلوا الأمور التي على الحاج أن بها في ذلك اليوم من رمي الجمرة الكبرى ونحر الهدي وحلق الرؤوس. وفيه إشارة إلى قول سبحانه: ﴿ **ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ﴾[1].

63 دَعَاهُمْ إلى البَيْتِ العَتِيقِ فَيَا مَرْحَبًا بِالزَّائِرِينَ

64 فللهِ مَا أَبْهَى زيَارَتَهُمْ لَهُ تُقْسَمُ[2]

65 وَللهِ أفْضَالٌ هُنَاكَ وَنِعْمَةٌ وَمَرْحَمُ[3]

إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾[4]؛ وقوله جل في علاه: **مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾[5].

يقول المصنف، رحمه الله: هي دعوة من

تمموا: أتوا بجميع الأعمال التي عليهم في ذلك اليوم غير نقصان.

1 () سورة الحج:29.

2 () أبهى: البهاء: الحسن.

3 () إفضال: إحسان، وأفضال: زيادة في العطاء والفضل. نعمة: منة. بر: إحسان. جود: السخاء والكرم. مرحم: الرحمة: الرقة والمغفرة والتعطف.

4 () سورة الحج: 29.

5 () سورة الحج: 33.

سبحانه لعباده بزيارة بيته العتيق.

وسُمِّي البيت العتيق: إما لقدمه، حيث سبحانه: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ** ﴾[1].

وإما لأن الله سبحانه وتعالى أعتقه من الجبابرة أن يُسَلطوا عليه. لأنه لم يُرده أحد بسوء إلا وإما لأنه أعتق يوم الغرق زمان نوح[2].

فلما دعاهم لزيارة بيته استجابوا له. فيا مرحبًا بهم من زوار، وأكرم بها من زيارة، وأعظم مزور.

(فلله ما أبهى) يتعجب من شدة حسن وجمال الزيارة، وقد فازوا بالجوائز القيمة من المولى جل علاه؛ فهو يقسمها عليهم كل بحسب ما قدم من نية وحسن عمل وشدة تضرع وطول قيام وكثرة بكاء.

66 وَعادُوا إلى تلكَ الّمَنَازِلِ وَتَنَعَّمُوا[3]

67 أقــامُوا بِها يَومًا

1 () سورة آل عمران:96.

2 () انظر تفسير ابن كثير: 3/218.

3 () منى: قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: 5/198 منى: في دَرَج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم. سمي بذلك لما يمنى به من الدماء، أي وقيل لأن آدم عليه السلام تمنى فيها الجنة. وقال شميل: سمي منى لأن الكبش منى به، أي ذبح. أ. هـ.

68 وَرَاحُوا إلى رَمْي الجِمَارِ عَشِيَّةً ... **وَأُذِّنَ فِيهِمْ بالرَّحيلِ مَعْهُمُ**[1]

يقول: رحمه الله تعالى: إنهم أقاموا بمنى أيام، وبعدها أعلموا بالذهاب من منى؛ وفيه إشارة إلى قول الحق سبحانه: ﴿ **فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى**﴾[2]. وفي كل يوم من هذه يذهبون بعد الزوال لرمي الجمار.

ويصف حالهم وهم ذاهبون؛ بأن ألسنتهم لا تفتر التكبير، مع استشعارهم معية الله سبحانه.

69 فلَوْ أبْصَرتْ عَيْناكَ مَوْقِفَهُمْ بِها ... **وَقَدْ بَسَطوا تلكَ الأكُفَّ لِيُرْحَمُوا**

70 يُنَادُونَهُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ إنَّنَا ... **عَبِيدُكَ لا نَدْعُو سِواكَ فَتَرْحَمُ**

71 وَهَا نحْنُ نرْجُو مِنْكَ أنْ تُعْطِيَنا ... **الجزيلَ وَتُنْعِمُ**[3]

لو رأيتهم بعد رمي كل أيديهم، ووجوههم نحو القبلة، وقلوبهم نحو خالقه

---

1 () عشية: العشي: يبدأ بعد الزوال إلى المغرب (النهاية في غريب الحديث).

2 () سورة البقرة:203.

3 () الجزيل: العظيم الكثير.

يلحـون عليه بالمسـألة ويتضـرعون إليه بخشـوع وتمسكن عساهم أن ينالوا رحمته ورضاه.

وألســنتهم تنطق ببعض ما في اللسان في كثير من الأحيان لا يستطيع أن يعبر بكل ما في القلب. ينادونه بـالاعتراف بتقصـيرهم في حقـه، وذكر الضـعف والحاجـة؛ فهم عبيد ربهم وهو أعلم بهم من أنفسهم.

ويقولـون -بلسـان الحـال قبل المقـال- إنهم يعبدونه ولا يشركون معه أحدًا.

ويطلبون من مولاهم سـبحانه أن يتفضل ويعـاملهم بما هو أهلـه، فإنه هو أهل التقـوى المغفرة.

72 وَلَمَّا تقضَّوا مِنْ مِنى كُلَّ حَاجَةٍ تقدَّمُوا[2]

73 إلى الكَعْبَةِ البَيْتِ الحَرَامِ وَطَافُوا بِهَا سَبْعًا وَصَلوا

لما أتموا كل ما عيهم من الأعمال التي يقوم بها الحاج في أيام منى ارتحلوا منها متجهين إلى البيت

---

[2] () تقضوا: قاموا بما عليهم من الأعمال حتى فرغوا البطـاح: جمع أبطح، والأبطح: مسـيل واسع فيه الحصى (القاموس المحيط).

الحـرام، وذلك بعد الـزوال، أي بعد رميهم الجمـار؛ سواء أكان ذلك في اليوم الثاني من أيام لمن أراد أن يتعجل، أم في اليوم الثالث لمن أراد أن يتأخر، وهو الأفضل؛ لأنه فعل النبي ﷺ.

وقد تؤخذ الأفضـــلية أيضًـــا من قوله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى﴾[1].

وعنـدما وصـلوا إلى الكعبـة، شـرفها اللـه، طـافوا طواف الـوداع، وصـلوا في المسـجد الحـرام ما كتب لهم.

74 ولَمَّا دَنَا التَّودِيـــــعُ ... مُتَصَرِّمُ[2]

75 وَلَمْ يبْقَ إلا وَقْفةٌ لِمُودِّع ... تُسَجَّمُ[3]

وبعد أن تيقنـوا أنهم عن قـريب سـوف يغـادرون المكـــان الطـــاهر الـــذي تعلقت به قلـــوبهم، واشـــتد شوقهم، وأن القرب الذي يعيشونه هذه اللحظات لم يدم لأن حبله قد تقطـــع، ولم يبق بينهم وبين وقفة يقفها المحب، لينظر إلى البيت النظرة الأخـيرة يودعــه؛ ففي هــذه اللحظـات سـالت الأجفـان بالـدموع المتتابعة التي لا انقطاع لها.

---

1 () سورة البقرة: 203.

2 () التداني: القرب. متصرم: متقطع.

3 () تسجم: سال دمعها.

76 ولله أكْبَــادٌ هُنَالِــكَ تَضَرَّمُ[1]

77 ولله أنفَـاسٌ يَكَـادُ بِحَرِّ المُتَيَّمُ[2]

78 فلمْ تَـــرَ إلا بَاهِتًا يَتَرنَّمُ[3]

يتعجب من هذه الأكباد التي جُعل الغرام وديعة. والغرام هو شدة الألم الذي يجده المحب إذا محبوبــه؛ قــال ســبحانه: ﴿ **إِنَّ عَــذَابَهَا غَرَاماً**﴾[4].

فهــذه الأكبــاد تتعــذب عــذابًا لا يطــاق إذ تشتعل فيها على فراق الأحبة.

ويتعجب كذلك من تلك الأنفاس التي تزفر في الساخن، بسبب نار الفراق المستعرة في جوف المحـبين الذين استولى عليهم الحب وشدة الوجد؛ فهذا حالهم بعد ما همُّوا بالرحيـل: إما أن يكـون أحـدهم متحـيرًا لا كيف يتحمل ألم الفراق، وفريق آخر يبدي أحزانه بصوت حـزين قد حسَّـنه ليتلو به آيـات من كتـاب ربه أو

---

1 () أودع: جُعل الغرام فيها وديعة. تضرم: تشتعل.

2 () المسـتهام: هـائم: الـذي لا يـدري أين يـذهب. المـتيم: الذي صيره الحب عبدًا ذليلًا.

3 () باهتًا: بَهِت: دهش وتحير. شجوه: همه وحزنـه. يـترنم: يُرجِّع صوته.

4 () سورة الفرقان: 65.

يتضرع بها إلى سيده ومـولاه. يفعل هـذا كي يخفف من ألم الفراق.

79 رَحَلتُ وأشْـــوَاقِي إِل
وَتَضْرِمُ[1]

80 أوَدِّعُكُمْ وَالشَّـــوْقُ
حِمَاكُمْ مُخَيِّمُ[2]

81 هُنَالِـــكَ لا تَثْـــرِيبَ
يَكْتُمُ[3]

نعم، أنا انتقلت من تلك الـــديار قلبي وأشواقي ومشاعري فهي لا زالت مقيمة هناك في دار الحبين. أما الجسد، فهو وحـده غادر وارتحل. ارتحل والنار الملتهبة من شدة الحزن تشتعل وتوقد في داخله.

أريد أن أفارقكم، ولكن الاشتياق إليكم هو الذي يمنعـني من الـذهاب، ويحـاول أن يرجعـني وكذلك قلبي، لا يريد أن يفارق المكان الذي أنتم به؛ لأنه حل وأقام في أرضكم.

أما في ســاعة التوديع عن الــذي في الشوق؛ لأنه لا يستطيع أن يكتمه.

---

[1] () الأسى: الحزن. تشب: توقد. تضرم: تُشعل.

[2] () يثني: ثناه: كفه وصرفه عن حاجتـه. أعنـة: جمع عنـان وهو لجام الفرس.

[3] () تثريب: التعبير والاستقصاء في اللوم.

82 فيَا سَائِقين العِيسَ بالله

الرُّبُوع وَسَلمُوا[1]

83 وَقولـــوا مُحِبٌّ قَ

وَتَسْلَمُوا[2]

يناشد الذين يقومون على قيادة القافلة، ويستحلفهم أن يقفوا قليلًا في ديار الأحبة؛ كي يسلموا على ويخبروهم أن في القافلة من أسرهُ الشوق فيكم، وساقه إليكم، ثم ارتحل بعد ما قضى فيكم نحبه.

84 قضَى اللهُ رَبُّ العَرْ

القلوبَ ويُبكمُ[3]

85 وَحُبُّكُمُ أصْـــلُ الهَـ

عَلَيْهِ وَفوْزٌ للمُحِبِّ

إن الله سبحانه وتعالى قدر وكتب أن من أحب أحدًا فإن قلبه يتعلق به، فلا يستطيع أن يرى إلا عن طريقه، ولا يعقل إلا بوساطته؛

---

1 () العيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة (النهاية).

2 () قضى نحبه: أدرك ما تمنى، أو قضى الموت، (لسان العرب).

3 () الهوى: الميل والعشق، ويكون في الخير والشر.
يبكم: البكم: الخرس، أو أن يولد ولا ينطق يبصر (القاموس).

الحبيب فهو الحسن، وهو الحق، والصواب؛ خالفه فلا سبيل إلى قلبي إلا من سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾[1].

ومن كان على هذه الشاكلة فهو الفائز الرابح في الدنيا والآخرة.

86 وَتَفْنَى عظامُ الصَّبِّ بَعْدَ
مُحَرَّمُ[2]

كل ميت سوف تبلى عظامه وتصبح رميمًا، وكذلك المحب أيضًا، لكن أشواقه باقية لم تذهب كبقاء الوقف؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يبيعه أو يفسده.

87 فيَا أيهَا القلبُ الذي مَلكَ
التَّلَوُّمُ[3]

88 وَحَتَّامَ لا تَصْحُو
والنَّاسُ نُوَّمُ[4]

89 بَلِى سَوْفَ تصْحُو

---

1 () سورة البقرة: 165.
2 () تفنى: تعدم وتبلى. الصب: المحب.
3 () أزمة: جمع زمام وهو ما يشتد به. زم البعير: خطمه. التلوم: الانتظار والتمكث.
4 () حتام: مكونة من (حتى) الجارة و(ما) الاستفهامية. المدى: الغاية.
دنت كؤوس السير: حان وقت الرحيل.

وَيَبْدو لكَ الأمْرُ الذي أنْتَ

يخاطب قلوب المؤمنين الذين أسرت في الله، واستولى عليها الشوق إلى لقائه. يقول لِمَ أنتم غافلون؟ وإلى متى هذه الغفلة؟ ألم لكم أن تفيقوا؟ ألم تعلموا أن الحياة قصيرة؟ هي ساعات تُعَد، وقد قرب وقت الرحيل، أكثر الناس لا يعلمون.

نعم، سوف تعلم الحقيقة الأمور، ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم؛ عن علي رضي الله عنه: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[1]. فسوف ترى في ذلك اليوم ما لم في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾[2].

90 وَيَا مُوقِدًا نَارًا لِغَيْرِ يَضْرِمُ[3]

91 أهذا جَنَى العلم الذي قدْ تَرجُوهُ يُطعِمُ[4]

---

[1] () انظر المقاصد الحسنة: 1240، والسلسة الضعيفة: 102.

[2] () سورة ق: 22.

[3] () لظاها: لهبها. يضرم: يشتعل.

[4] () جنى: ما يلتقط من الثمر.

92 وَهذا هُوَ الحظُّ الـذِي وَدِرْهَمُ[3]

93 وَهَذا هُوَ الرِّبْحُ الـذي يَسْلمُ[4]

يضـرب مثلاً لكل من يقـدم للنـاس مل ينفعهم, سواء أكان ذلك في أمور الدين أم الـدنيا, فـإن إنســان قبل أن يفكر بنجــاة غــيره عليه بنجاة نفسه, لا أنْ يُنير للناس طـريقهم ويمشي في الظلام.

إن العلم الـــذي تعلمتــــه, وأتعبت تحصيله, وضيعت الكثير من الوقت من أجله؛ هل أخلصت فيه النية لله؟

وهل كــان كل ما رجوته من تعلمك للعلم تحصل على بعض المـال؟ أو أن تكـون لك الوجاهة عند الناس؟ أو أن تتصدر المجالس؟ أهذا هو حظك من العلم في الدنيا والآخرة؟

فإن هذا المكسب الذي حصلت عليه شيءُ فانِ سـرعان ما يـزول عنك بمجـرد موتـك, ولكن

---

[3] () الحظ: النصيب, الدارين: الدنيا والآخرة.
جاه: القدر والمنزلة.

[4] () لعمرك: مكونة من (لام الابتداء) ولفظ القسم الصريح (عمـرك) ويعـرب مبتـدأ محـذوف لخـبر وجوبًا تقـديره (قسمي). انظر معجم الشوارد النحوية, وإعراب القــرآن لمحي الدين الدرويش.

عليك تبعاته.

فلا شك في أن من تعلم العلم الشــرعي وجه الله فإنه ســوف ينــال العقــاب الأليم تبارك وتعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجــل, لا يتعلمه إلا ليصــيب به عرضًــا الدنيا؛ لم يجد عـرف الجنة يـوم القيامـة)[1]؛ ريحها.

قوله: (لا ربح ولا الأصل يسلم): يعني الذي تعلم الله لا يؤجر يوم القيامة, ولا يسلم بنفسه من العذاب.

94- بَخِلتَ بِشَــيْءٍ لا يضُـ

يُقَوَّمُ[2]

95- بَخِلتَ بِـــــــــذا

كُنْتَ تَفْهَمُ[3]

96- وَبِعْتَ نَعِيمًا لا انْقِضَاءَ لهُ

سَيُعْدَمُ[4]

97- فهَلا عَكَسْــتَ الأمْــرَ

---

[1] () رواه أحمد: 2/338, وأبو داود: 3664, وانظر ابن ماجه وابن عبد الــبر, وهو صــحيح [يراجع «اقتضــاء العمل» تحقيق الألباني رقم: 102, المجلة].

[2] () بَذَلـه: جـاد به وأعطـاه. وجـدت: الجـواد: السـخي. لا يُقوَّم: لا تحدد قيمته.

[3] () الخسيس: الدنيء الحقير. الدنيء: الخبيث.

[4] () نظير: المثل. ببخس: بنقص. سيعدم: سيفقد.

كُنْتَ تَعلمُ[5]

المال الفاني الـذي حرصت على جمعه وتخزينه ومنعت إنفاقه في وجوه الخير؛ لو أنفقته فلا يضرك إنفاقه, بل حسبه هو الذي يضـرك, وهو من تـزيين الشيطان؛ قال الله تعـالى: **الشَّـيْطَانُ يَعِـدُكُمْ الْفَقْـرَ** [3]. عن أبي هريـرة رضي الله عنـه, عن رســول الله قــال, (ما نقصت صــدقة من 000)[4].

ومقابل هـذا البخل والحـرص قد جـدت وبـذلت وزهدت بالجنة والنعيم الـدائم, وما هـذا إلا من فهم وسـوء تصـرف؛ لأن نعيم الجنة ليس له ولا نظير, لأنه لا ينفد: **لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** [5]. فكيف يسـتبدل الإنسـان الخسـيس الحقير الفاني بالنفيس الباقي.

هــذه عــروض الــدنيا الــتي فضــلتها على الآخرة لا قيمة لهـا, ولا تنفع صـاحبها بعد موتـه, بل تصبح ملكًا لغيره.

فـإن كـان كل ذي رأي صـائب لا يـتردد في أن الأمر؛ بأن يحتفظ بالنفيس الباقي, ويزهد ويـترك الحقـير

---

5 () الحــزم: ضــبط الأمــر, أو ضــبط الرجل أمــره وأخــذه بالثقة.

3 () سورة البقرة: 268.

4 () رواه مسلم: 2588.

5 () سورة الواقعة: 33.

الفاني.

98 وَتَهْدِمُ مَا تبْنِي **فَأنْتَ مَدَى الأيَّام تَبني**

هذا النوع من الناس, وإن فعل بعض الطاعات وأتى ببعض القربات والأعمال الصالحة, فإنه سرعان ما يفسد عمله؛ إما بعدم إخلاص وإما بالمن والأذى.

قال الحق سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى**﴾[1], وإما يكون العمل على خلاف السنة. عن عائشة الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)[2]؛ فإن أمثال هؤلاء يعملون, ولكنهم ينقضون أعمالهم بأيديهم, بل هي وبال عليهم يوم القيامة.

99 وَعِنـدَ مُـرادِ الله تفْ **وَتُلحمُ**[3]

إذا جاءك أمر الله بأن تفعل كذا أو أن

---

1 () سورة البقرة: 264.

2 () رواه مسلم: 1718. أما رواية: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). فقد رواها البخاري وغيرهما.

3 () مراد: المشيئة والطلب. تفنى: تعدم. تسدى: سدا: مدَّ يدهُ نحو الشيء.
تلحم: لَحم الأمر: أحكمه. ورجل اللحم: أكول اللحم. ورجل ملحم: إذا كثر عنده اللحم.

يصيبك الذوبان, وتصبح كالميت تمامًا؛ لا تسمع ولا تعقـل. أما إذا جاءت الشهوة ومراد النفس الأمارة بالسوء, فإنك تقبل عليها بشـدة حـتى لا تسـتطيع أن تمـيز بين والشر.

10 وَعِنْـدَ خِلافِ الأمْـرِ تحْ

للجَبرِ تزْعُمُ[2]

إذا خـالفت أوامر الشـرع, وفعلت المحظـور, وارتكبت المحرمات, وتركت الواجبات؛ فإنك تزعم أن هـــذا قد كتبه تستطيع أن تفعل غيره لأنك مسيّر لا إرادة لك, فأنت تعين بهذا أهل الباطل المخالفين لأوامر الله, وتنحـاز إليهم, وتبـني عقيـدة الجبرية الـتي لا للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلًا[3].

أي إن كل ما يقوم به العبد من أعمـال الخـير وفعل الطيب والخبيث, وإتيان المباحات والمحرمات, ينسبون كل هذا إلى الله لأنه الـذي كتبه على العبـد؛ هو مسيّر تسـييراً كـاملًا. وهـذا باطل واضح البطلان؛ علم الله السـابق بـأن هـذا العبد مـاذا يختـار

---

2 () خلاف الأمر: فعل ما يخالف الأوامر الشرعية.

ظهير: معين.

3 () قال الشهر ستاني في الملل والنحـل: 1/85, والجـبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعـالى؛ فالجبرية الخالصـة: هي الـتي لا تثبت للعبد فعلاً على الفعل أصلًا.

باختياره, فكتب الله سبحانه وتعالى أنه شقي أو سعيد وهو في بطن أمه؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن بعد ذلك أي الطريقين يسلك فكتبه عليه.

101 تُنَـزِّهُ منْـكَ النَّفْسَ
وَتَظْلِمُ[1]

إذا طلبت منك نفسك فعل القبيح وارتكاب ما اللهو فإنك تلتمس الأعذار هنا وهناك؛ لكي تجد مساغًا لفعلها، وأنها لم تفعل إلا ما فيه الخير والصلاح. وإذا وقعت في مكروه، فإن اللوم كل اللوم على الذي كتبه الله عليك، ظلمًا لك، وهضمًا لحقوقك، واختصك أنت بالمكروه دون العباد.

102 تُحِلُّ أمُورًا أحْكَمَ الشّـ
الشَّرْعُ تُبْرمُ[2]

103 وَتَفهَمُ مِنْ
مُعَجَّمُ[3]

كثير من القضايا والأمور حكمها واضح الإسلام، من حل وتحريم، فينبري أناس طمست

---

1 () تنزه: تباعدها عن كل مكروه.
تعتب: تنتقص (النهاية في غريب الحديث).

2 () تحل: حل العقدة: فتحها. تبرم: أبرم الشيء، أحكمه (مختار الصحاح).

3 () معجم: العجماء: البهيمة، سميت به لأنها لا تتكلم؛ وكل ما لا يقدر على الكلام فهو أعجم الحديث).

بصائرهم، فيضعون أنفسهم في مقام الله وعلا، فيحلون للناس ويحرمون عليهم؛ أهواءهم وشهواتهم. ولا شك في سبحانه في أن الذي ينصب نفسه للتحليل والتحريم إما أن من الكاذبين؛ لقول الله سبحانه: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ** ﴾[1].

وإما أن يكون قد نصَّب نفسه للألوهية؛ التشريع من اختصاص الإله، قال الحق وتعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾[2].

فإن صاحب القلب المعجَّم، الذي لا يفقه يقدر على تمييز الأمور، يأتي إلى أحاديث رسول الله ﷺ فيفهمها على خلاف مرادها؛ فتجده أمور الشرع.

10 مُطِيعٌ لِداعِي الغَيِّ عَاص

وَيعْلَمُ[3]

تجده مطيعًا لكل ناعق شر، متخذًا دعاة الباطل قدوة له. أما طريق الهداية والنور، طريق الخير

1 () سورة النحل: 116.

2 () سورة الشورى: 21.

3 () الغي: الضلال والانهمال بالباطل (النهاية). الرشد: ضد الغي.

والفلاح، فهو معرض عنه ولا يلتفت إليه.

ومع هذا؛ فهو لابد وأن يأتي اليوم الذي يموت يرد إلى ربه؛ وسوف يعلم بعد ذلك أنه كان مخطئًا، ولكن لا فائدة حينئذ.

10 مُضِيعٌ لأمْرِ اللهِ قـدْ غَشَّ نَفْسَهُ ... وَيكرَمُ[1]

لقد تــركت أوامر الله ســبحانه ولم تعمل وكنت الســبب في هلاك نفســك؛ لأنك وتمنعها عن هواها، وإنما أطلقت لها العنان؛ وهذا هو الغش لهـا؛ يقـول الحق تبـارك وتعـالى: **مَنْ خَـــافَ مَقَـــامَ رَبِّهِ وَنَهَى الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**[2].

والذي يفعل كل ما تشتهي نفسه فإنه –ولا سوف ينقاد لها، ويوردها موارد الرذيلة، ويكون عبدًا لهواه، فيكون قد أهان نفسه وسقط من أعين الناس؛ فلا يحبه تقي، ولا يكرمه مؤمن.

10 بَطِيءٌ عَنِ الطاعَاتِ ... يَتَقَسَّمُ[3]

مقصر في فعل الطاعــات، متكاسل في

---

[1] () مضيع: مهمل. غش: غشه: لم يَمْحَضْهُ النصح، أو أظهر له خلاف ما أضمر.
مهين: مُذِل.

[2] () سورة النازعات: 40، 41.

[3] () للخنا. خنا خنوًا: أفحش.

للفواحش فهو مقدام أسرع من السيل إذا كان ولم يتشعب.

107 وَتزعُمُ مَعْ هذا بأنكَ عارفٌ
كَذَبْتَ يَقِينًا في الذِي أنْتَ تزعُمُ

108 وَمَا أنتَ إلا جاهِلٌ ثم إنَّكَ
وإنَّكَ بَيْنَ الجاهلينَ مُقَدَّمُ

ومع ما أنت عليه من ترك الواجبات، المحرمات، والبطء بفعل الخيرات، والإسراع للفواحش، وما أنت عليه من الفهم السقيم لأحكام الشرع. مع هذا كله، تزعم أنك تعرف حقائق الأمور ومقاصد الشرع.

لا شك في أنك كاذب منك. وإنما الحقيقة الواضحة أنك تجهل الأمور التي يعلمها العامِّي من الناس، فضلًا عن الأمور التي تحتاج إلى بحث ودراسة. وما ذاك لاإلا لأنك لست من الجاهلين فحسب، وإنما من أجهل الجاهلين.

109 إذا كَانَ هذا نُصْحَ عَبْدٍ لِنَفْسِهِ
فَمَن الذي منْهُ الهُدَى يُتَعَلَّمُ

من الأمور البديهية أن الإنسان يقدم مصلحة نفسه على مصلحة غيره. ومن هذا الباب؛ أن الذي يسعى في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويجهد نفسه في هذا -ولو على حساب مصالحه-

أنه لو لم يعلم أن الله سبحانه الجزاء –سواء في الدنيا أو في الآخرة- لما عمل شيئًا من ذلك.

أما الظالم لنفسه، والغاش لها، إذا كان هذا تصرفه مع نفسه، فكيف يرجى منه النفع لغيره؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

110 وفِي مِثْل هذَا الحالِ
وأحْسَنَ فِيمَا قالهُ

111 فإن كُنتَ لا تَـدْرِي
وإن كُنتَ تدْري

إن هذا الغاش لنفسه؛ ويظن أنه ناصح والجاهل بالأمور؛ ويظن أنه عالم بها. عن مثل الصنف من الناس قد قال الأولون هذه المقالة: (إن كنت لا تدري...) يعني: إن كنت جاهلًا بأمور الشرع وأمور الحياة فهي مصيبة؛ لأن الجاهل نفسه، والجهل ظلمات. هذا بالنسبة للجاهل يعلم أنه لا يعلم، ويترك العمل لأنه لا يستطيع أن يعمل بغير علم.

أما الذي يعلم أنه لا يعلم، ويعمل بعد ذلك بغير ويتخبط بجهله؛ فهذه أعظم من تلك.

112 وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا
سَيُصْرَمُ (1)

113 كَحُلم بطيـــفٍ ... والصَّبُّ مُغْرَمُ[1]

114 وَظلٍّ أرَتْهُ الشَّمْسُ ... الزَّوَالِ وَيُفْصَمُ[2]

115 وَمُزْنَة صَيْفٍ طـابَ ... تَضَرَّمُ[3]

116 وَمطعَم ضَـيْفٍ لـذَّ ... تُعْلمُ[4]

الناظر الحقيقي لهذه الحياة، والــذي ينظر البصيرة، سوف يعلم أنها زائلة، بل هي مثل الخيال الذي يأتي للنائم ثم يذهب بعد ذلك.

ويذكر المصنف، رحمه الله، بعض الأمــور

---

[1] () ستورها: ستور جمع ستر، وهو ما يستر به ويغطي ويحجب (القاموس).
خيالًا: الخيــال: الطيــف، وهو من التخييل والــوهم. سيصــرم: سيُقطع.

[1] () بطيف: الطيف: الخيال مجيئه في النوم.
صب: مشتاق، والصبابة: رقة الشوق وحرارته.
مغرم: أسير الحب، أو المولع.

[2] () سيقلص: سينقبض ثم يذهب. الزوال: زالت الشــمس: مالت عن كبد السماء.
يفصم: يقلع.

[3] () مزنة: سحابة. مقيلها: المقيل: النوم في نصف النهار.
الحرور: الريح الحارة. تضرم: تلتهب.

[4] () مساغه: ساغ الشراب: سهل مدخله في الحلق (مختار الصحاح).

بها عن حقارة الدنيا وزوالها حيث يقول:

(كحلم بطيف...) مثلها كمثل مشتاق إلى محبوبه وفي أثناء نومه رأى محبوبه في المنام، ومن شدة فرحه فزع لذلك اللقاء، ومن فزعه استيقظ من نومه فلم ير شيئًا. هكذا الحياة، يعيش فيها الإنسان عمره، وعندما يحين الوفاة كأنه لم يعش فيها إلا سويعات.

وقوله: (وظل أرته الشمس...)أي إن الدنيا كمثل الظل الذي تشاهده عندما تشرق الشمس، فإذا زالت زال الظل وذهب.

وقوله: (ومزنة صيف...) ومثل الدنيا -كذلك- كمثل سحابة في وقت الصيف، جاءت الشمس، فانخفضت الحرارة وارتاح الناس في وقت الظهيرة وناموا، وماهي إلا لحظات ذهبت السحابة وطلعت الشمس بحرارتها الملتهبة.

وقوله: (ومطعم... ضيف) أيضًا ومثل الدنيا كمثل الطعام الطيب اللذيذ في طعمه الشهي وفي وبعد الأكل بفترة قصيرة سوف يتغير ويصبح نتن الرائحة قبيح المنظر تعافه النفس.

117 كـذا هـذه الـدُّنْيا كـأحلا... سَتَقدمُ[1]

118 فجُزْها مُمِـرًّا لا...

---

[1] () دار البقاء: يوم القيامة.

وَتَسْلمُ[2]

11 أو ابنَ سبيل قالَ ... يَتقسَّمُ[3]

12 أخَا سَفَر لا يَ... إلى أنْ يَرَى أوْطَانهُ

بعد أن ذكر المصنف، رحمه الله، تفاهة الدنيا وحقارتها وقصر مدتها، أردف ذلك بقوله: (كذا هذه كأحلام...) أي إن بقاء الدنيا واستمتاع أهلها بها، كالنائم عند مل يرى في يذهب كل شيء؛ كذلك الدنيا، فإنها تزول وتذهب بمجرد أن يموت. ولكن بعد زوال الدنيا فإن الآخرة سوف تأتي، ويُسأل العبد عن كل صغيرة وكبيرة.

فاستمع إلى المصنف حيث يقول: (فجزها ممرًا...) أي اعبرها، كأنما هناك جسر وضع حافتي نهر، وجاء الناس لكي يعبروا هذا النهر من على متن ذلك الجسر. وكذلك، على الإنسان يتخفف منها ما استطاع، ولا يثقل نفسه بها، ويجعل

---

2 () فجزها: جاز الموضع: سلكه وسار فيه وخلفه.
مقرًا: القرار: المستقر من الأرض.

3 () ابن سبيل: المسافر الكثير السفر، سُمي لملازمته إياها (النهاية).
قال: نام في الظهيرة. دوحة: الشجرة العظيمة المتسعة من أي الشجر كانت.
يتقسم: يتجزأ.

نفسه فيها كالغريب الذي لا يعرف أحدًا.

وأن يكون فيها كمثل المسافر الذي مر شجرة عظيمة الظل، فأقام تحتها ليستريح عناء السفر، ثم تركها ليواصل سيره؛ وفيه إشارة إلى قول ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: أخذ رسول الله بمنكبي فقال: (كن في الدنيا غريب أو عابر سبيل)؛ وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك لموتك)[1].

والمسافر لا يهدأ باله ولا تستقر نفسه يرجع إلى وطنه، ويسلم على أهله ومعارفه ويطمئن على أحوالهم.

12 فيا عجبًا كم

مَصَارِعِها عَموا[2]

يتعجب رحمه الله، من كثرة ما يرى أمامهم من نهايات غيرهم، ولكن لا يتعظ إلا القليل منهم؛ لأنهم يملكون الأبصار ولا بصائر لهم، رُوي عن بعض الصحابة: _كفى بالموت واعظًا)[3]،

---

1 () رواه البخاري: 6416، 11/233.

2 () مصرع: صرعه صرعًا: طرحه على الأرض، ويقال: صرعته المنية.

بنيها: أبنائها.

3 () رواه أحمد في الزهد: ص 176، عن عمار بن ياسر.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي (أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت)[1].

122 سَقَتْهُمْ كُئوس ال...

والقوْمُ نوَّمُ[2]

أرضعتم الدنيا حبها فتنافسوا فيها وفي جمعها، فلا همَّ لهم الإكثار من حطامها. حتى إذا جمعوا استطاعوا جمعه أتاهم الموت وهم غافلون.

عن السور بن مخرمة رضي الله حديثه عن النبي وفيه:

(... فوالله ما الفقر أخشى أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على ما كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلكهم كما أهلكتهم)[3].

123 وَأعْجَبُ مَا في

مُتَيَّمُ[4]

124 وَمَا ذاكَ إلا أ

انظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم: 502.

1 () رواه الترمذي: 2307، والنسائي: 4/4، وابن ماجه: 4258. [وهو حديث حسن صحيح يراجع الإرواء، المجلة].

2 () نشوا: سكروا.

3 () رواه البخاري: 2625، ومسلم: 2960، واللفظ له.

4 () المغمور: غمره الماء أي علاه، والانغمار: الانغماس.

متيم: ذليل. يقال: تامته المرأة أو العشق والحب ويتمته: عبدته وذللته (القاموس).

وَتصْلِمُ[5]

12 وأعْجَبُ منْ ذا أنَّ

وَتُكْرِمُ[1]

والعجب كل العجب أن الإنسان يرى ويستشـعر الأمـور العظيمة والمخـاطر الجسـيمة، ثم إن الـــدنيا قد أذهب عقله وســيطر على أحاسيســه؛ فانغمس فيها ولا يفكر في غيرها.

وســــــبب ذلك أن حلاوتها (الظــاهر فقــط) قد ذهب بعقــول من افتتن فجلبتهم إليها وقطعتم فيها تقطيعًا.

وأكثر عجبًا مما تقـدم! أن الـدنيا تهين من بها وتُذل من أكرمها.

عن زيد بن ثـــابت رضي الله عنه قال: (من كـانت الـدنيا همه فـرق الله عليه أمـره، وجعل فقــره عينيــه، ولم يأته من الــدنيا إلا له. ومن كانت الآخرة نيته جعل الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)[2].

فهـذه الـدنيا من جعلها همه لازمه الهم طـوال حياتـه، ومن تركها وأشغل نفسه بـالآخرة، أتته الـدنيا رغم

---

5 () تسلب: تختلس، أو تأخذ خلسة. تصلم: تستأصل قطعًا.

1 () تراعي: تحسن، وراعيته: لاحظته محسنًا إليه.

2 () رواه أحمد: 5/183، وابن ماجه: 4105، وغيرهما. قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح. [والحديث صـحيح، يراجع السلسلة الصحيحة، 950، المجلة].

فهي كمـال المصـنف: تـرعى وتكـرم من عاداهـا، وتـذل وتهين من كان من أحبابها.

126 وَذلك بُرْهَـــانٌ … وأَلامُ[1]

إن فعل الدنيا بالنـاس –كما مر بنـا- دليل بيِّن على أن قدرها هو تركها، والزهد فيها، وعدم تعظيمها والاهتمام بها؛ لأنها حقيرة لا تساوي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كانت الدنيا تعـدل عند الله جنـاح ما سقى كافرًا منها شربة ماء)[2].

127 وَحَسْبكَ مَا قالَ الرَّسُولُ … يُفهَمُ[3]

128 كَمَا يُـدْلِي الإنْسَـانُ … يُغْنَمُ[4]

يكفيك تمثيلًا للدنيا وحقارتها أمام الآخرة ما قاله الرســول ﷺ مفاضــلًا بينهما وممثلًا لهمــا،

---

1 () برهان: حجة. قدرها: قدر الشيء: مبلغه. أدق: أقل، يقال أخذ جله ودقه: أي كثيرة وقليلـة. الأم: أظهر خصـال اللؤم (لسان العرب).

2 () رواه الترمــذي: 2320، 4/560. انظر السلســلة الصحيحة للألباني: 943.

3 () حسبك: يكفيك. دار الخلد: الجنة.

4 () يدلي: دلا الدلو: نزعها، وأدلاها: أرسلها في البئر.
اليم: البحر. ينزعها: يخرجها. يغنم: يفوز ويظفر.

المستورد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم هذه (وأشار يحي بالسبابة) في اليم فلينظر يرجع[1].

قال النووي[2]: ومعنى الحديث: ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة -في قِصَر مدتها وفناء لذاتها، ودوام الآخرة ودوام لذاتها ونعيمها -إلا كنسبة الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.

12 ألا ليْتَ شِعْرِي هَلْ أبِيتَنَّ ليلةً مُبْرَمُ[3]

يتمنى أن تمر عليه ليلة واحدة وهو آمن من الدنيا، ويكون حاله فيها محكمًا مستقرًا لا يخاف أن ينفرط عليه أمره.

13 وَهَلْ أرِدَنْ مَاءَ الحياةِ وَهْوَ مُفْعَمُ[4]

(ماء الحياة): هذه العبارة لها أكثر من معنى، منها: الوحي الذي أنزله الله سبحانه على نبيه

---

1 () رواه مسلم: 2858، والترمذي: 2323، وابن ماجه: 4108، وأحمد.

2 () في شرح مسلم: 17/192.

3 () ليت شعري: ايتني أعلم. مبرم: أبرم الأمر وبرمه: أحكمه.

4 () أردن: نون التوكيد الخفيفة دخلت على الفعل المضارع (أرد) ومعناه: أبلغ. مفعم: ممتلئ.

لأنه حيـاة القلـوب والأرواح؛ فيكـون المعـنى: إنه وبهذا يكون الضمير في حوضه عائدًا على الحي.

ومنهـا: الـدار الآخـرة، لقوله سـبحانه: **وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُـونَ** [2]؛ فيتمنى أن يكـون من السـعداء يـوم القيامـة، ويعيش الحياة الحقيقية، ويتزود من الأحواض في الجنة ويرتوي منها.

ومنها: الماء الذي يكون في حوض النبي وصفه لهم. حيث يشتد العطش بالناس ثم ينعم الله على من يشاء من هذه الأمة فيشرب من الحوض؛ ومن شرب منه فإنه لا يظمأ أبدًا.

13 وَهَــلْ تَبْــدُوَنْ أَعْا ... السَّوَافِي فتُعْلمُ [3]

الـديار الـتي هبت عليها الريـاح المحملة بـالغبر والأتربة فطمست معالمها. هل سـتزول الأتربة ذلك وتظهر المعالم من جديد؟

وربما يريد المصـــنف، رحمه الله يقول: إن السنة الخالصة، والاتباع الكامل لما جاء به النبي ، والتجرد الحقيقي لاتبـاع نهجـه، قد

---

[2] () سورة العنكبوت: 64.

[3] () تبـدون: بـدا بَـدْوا وبُـدُوًّا: ظهـر. سـفت: سـفت الـريح التراب: ذرته أو حملته.

الربـــع: الـــدار بعينهـــا، حيث كـــانت، والمحلة (القاموس).

عليه رياح البدع والتقليد الأعمى لأشخاص بعينهم – وإن خالفوا الهدى الثابت بالأسانيد الصحيحة. يقول: فهل تزول هذه السواقي وتظهر معالم السنة ويرجع الناس إلى العمل بما صح عن نبيهم ﷺ ؟

132 وَهَلْ أفْرِشنْ خَدِّي ثـ

وَيَرْحَمُوا[1]

وهل يتمكن من وضع خده على تراب سبحانه، في خضوع وتذلل، لعله ينال رحمة الله وعطفه؟

133 وَهَلْ أرْمِيَنْ

تُحَوِّمُ[2]

وهل أتمكن من أن ألقي بنفسي ببابكم؟ العظيم فيكم، وشدة الشوق إليكم، ربما يكون سببًا هلاكي.

134 فَيَا أَسَفى تفنَى الحَ

وعشْتُمُ[3]

---

[1] () أفرشن: فرش الشيء يفرشه: بسطه. ثرى: تراب. خضوعًا: تواضعًا.
كيما: لفظ مركب من (كي) الجارة التعليلية و(ما).
يرقوا: الرقيق ضد الغليظ.

[2] () طريحًا: طرح الشيء: رماه. منايا: جمع منية وهي الموت.
تحوم: حام الطير على الشيء حومًا وحومانا: دوَّم (القاموس).

يتأسف على انقضاء الحياة وذهابها، وهو ما يــزال اللــوم والعتــاب؛ لأنه مولع بحب ربــه، وقد ألــزم بطاعته وعــدم مخالفة أمــره؛ فهو لا يَســلم المخالفين.

135 فَمَا مِنْكُمُ بُـــدٌّ

عَنْكُم[1]

إن قلــبي قد تعلق بكم؛ فلا حب لي إلا أنتم. فلا إنني باق على هذا، ولا أستطيع أن استغني بغيركم، ولا أن أصبر عنكم، ولا أنساكم أبدًا.

136 وَمَنْ شَـــاءَ فليَغْضَ

رَضِيتُمُ[2]

يا رب إن كنت قد رضيت عني فلا عليَّ بعد الخلق بأسرهم لو غضبوا لم أكترث لغضبهم؛ لأن الأصل عندي هو رضاك.

137 وَعُقْبَى اصْــطبَاري

وَمَأثمُ[3]

إن عاقبة شدة صــبري، وتحمل آلام شــوقي

---

[3] () العتب: اللوم.

[1] () بد: لا فراق أو لا عوض أو لا محالة. أسلو: أنسى.

[2] () أذى: مكروه.

[3] () عقبى: جزاء الأمور.

اصــطباري: يقــال صــبر من خصــمه واصــطبر: أي اقتص (نهاية)، أو شدة الصــبر. قــال في القــاموس: صــبر يصــبر فهو صابر وتصبر واصطبر.

حبكم، نهايته التوصل إلى رضـاكم؛ فهي محمـودة، وأكـرم بها نهايـة؛ لأنكم سـوف تجزونـني الجـزاء. أما الـذي يصـبر عنكم ويتحمل بمخالفة أمـركم، ويتعب نفسه بالسـعي المنكـرات وفعل المحرمـات؛ فإنه سـوف لنفسه اآثام، وينال أشد العذاب. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً**﴾[1].

139 وَمَا أنَا بِالشّـ
وَأسَلمُ[2]

139 وَحَسبِي انْتِسَابِي
مُفَخَّمُ[3]

140 إذا قيلَ هَذا عَبْـ
تَهللَ بِشرًا وَجْهُهُ[4]

أنا لست من الذين يتشكون من أمـور التشـريع الـتي أنتم تحبونها وفرضـتموها على ولكنني في غاية السعادة وكمال الرضا بفعل كل ما يرضـيكم؛ فأنا أفعله وأسـلم أمـري

---

1 () سورة الغاشية: 2- 4.

2 () الشاكي: شكا فلانًا: أخبر بإساءته إليه.

3 () حسبي: يكفيني. الحظ: النصيب.
مفخم: التفخيم: التعظيم، وفخم: عظيم.

4 () تهلل: تهلل الوجه: تلألأ.

ويكفيني فخرًا وعزة أن أنتسب –ولو من إليكم فيقال عني: عبد الله، فهذه النسبة عندي عظيمة الشأن عالية القدر، وإذا ما سمعتها أسَرَّ بها كثيرًا، وتبدو آثار الفرح واضحة على وجهي.

14 وَهَا هُوَ قَدْ
والقَالُ مُعَلِمُ[2]

14 أحِبتُهُ عَطفًا عَلَيْهِ فـ
العذْبَ أنْتُمُ[3]

هذا العبد المحب قد أظهر لكم فقره حاجته إليكم، فهو إليكم ذله إليكم بلسان حاله؛ فإن حركاته وسكناته تعبر لكم عن مدى حبه لكم والتصاقه بكم؛ ودليل قوله يصدق فعله. هذا إذا كان ضبط الكلمة (معلِم) بكسر اللام. أما إذا كان بفتح اللام (معلَم) فيكون المعنى: إن هذا فعله، أما قوله فقد عرفه الجميع فلا يخفى على أحد.

فها هو يناجي ربه سبحانه وتعالى ويطلب يعطف عليه؛ لأنه في عطش شديد؛ فلا يرويه ويُذهب عنه غليله إلا أنتم، فهو سعيد بقربكم، ويستوحش بفراقكم

---

2 () أبدى: أظهر. الضراعة: الذل والخضوع. لسان الحال: هيئته وأفعاله. لسان القال: ما يصدر منه لأقوال.

3 () لمظم: رجل مظماء يعني: معطاش.

والبعد عنكم.

14 فَيَا سَـــاهِيًا في غ

سَتَنْدَمُ[1]

14 أفِقْ قد دنا الوَقتُ ال

تَضَرَّمُ[2]

يا من غلب عليه هواه وهو ساه يتخبط في جهل عميق، وكل بضاعته هي التمـني على الله من أن يبذل أي عمل في تحقيقهـا، فـإن العمر وسوف تعلم بعد ذلك أين أنت وماذا كنت تعمل.

ثم: ﴿ **وَيَـوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْـهِ** ﴾ ينفع الندم يومئذ؛ ﴿ **يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً** ﴾[4].

فإن هذا الساهي الـذي طـالت غفلتـه، يقـول المصـنف: ألم لك أن ترجع إلى صـوابك وتنتبه نفسك؟ ألم تخش أن يفاجئك الموت في أي ساعة من أيام عمرك؟ فمهما طال فإنه له نهايـة، وأنت

---

1 () ساهيًا: غافلًا، والسهو: الغفلة. غمرة: شدة.
صـريع: صـرعه صـرعًا: ألقـاه على الأرض. والمعـنى: إن الأماني غلبته فلا يستطيع مقاومتها. والأماني: جمع أمنية، وهي البغية.

2 () أفق: ارجع إلى صوابك. أفـاق: إذا رجع إلى ما كـان شغل عنه، وعاد إلى نفسه. تضرم: تشتعل.

3 () سورة الفرقان: 27.

4 () سورة الفرقان: 27.

تعلمها، فإذا حان وقتها وانتقات من هـذه الـدار دار القرار؛ فإما الجنة وإما النار.

إما أن تكون ممن دخل في رحمة الله ورضـوانه، قرير العين في جنـات ونهـر، وإما الأخـرى فهي مؤصدة.

14 وبالسُّـــنَّة الغَـــرَّاء
ليْسَ تُفْصَمُ[1]

14 تمَسكْ بها مَسْكَ البَخيل
تَسْلمُ[2]

بالسـنة البيضـاء الصـافية النقيـة، كن متمسـكًا تمسكًا شـديدًا؛ لأنها هي الـتي تنجيك من السـقوط في الهاوية؛ لأنها العروة الوثقى التي لا تنفصم.

فالذي يعمل بما دلت عليه السنة، ولا يحيد عنها، فإنه على الصـــراط المســـتقيم، بالأسباب القوية التي قد أحكمت من لدن حكيم خبـير، فهي محكمـة، ولا يخـاف أم تنقطع العروة الوثقى؛ فقيل هي: (لا إله إلا الله)؛ وقيل هي: القرآن؛ وقيل هي: كلمة الإخلاص؛ وقيل: (أبو بكر وعمر)؛ وقيل: إذا وحد الله وآمن بالقـدر،

---

1 () الغراء: البيضاء. متمسكًا: معتصمًا. تنفصم: تنكسر.

2 () عض عليها بـالنواجز: أي تمسك بها كما تمسك العـاض بجميع أضراسه (النهاية).

العروة الوثقى[1].

وعن عبد الله بن سـلام رضي الله رأيت رؤيا على عهد رسـول الله ﷺ، رأيت كـأني روضة خضراء وسطها عمود من حديد، أسـفله الأرض وأعلاه في السـماء، في أعلاه عـروة، لي: ارقـه. فـرقيت حـتى كنت في أعلى العمـود، فأخـذت بـالعروة، فقيل لي: استمسـك، فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على رسـول الله ﷺ فقـال: (**تلك الروضة الإسـلام، العمود عمود الإسـلام، وتلك العـروة عـروة الـوثقى، وأنت على الإسـلام حـتى تمـوت)**[2].

فالعروة الـوثقى هي الإسـلام كلـه، فمن تمسك بكل ما جاء به النبي ﷺ فهو المتمسك الذي لا على نفسه السقوط.

أما قولـه: (تمسك بها مسك البخيـل)؛ البخيل لا تسمح له نفسه أن يفر" بشيء من ولو كان يسيرًا، وإنما همه الأعظم أن يضيف إليه حتى يزداد.

وقولـه: (وعض عليهـا)؛ إذا أردت السـلامة والنجاة والفوز في الدنيا والآخـرة، فما عليك

---

[1] () ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور: 1/584.

[2] () رواه البخاري: 3813، ومسلم: 2484.

تتمسك بالســـــنة، وكأنك تعض عليها الداخلية زيـــادة في التمســـك. وفيه إشــــارة حــديث العربــاض بن ســارية رضي الله عنه (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجز...)[1] الحديث.

14 وَدَعْ عَنْـكَ مَا قَـدْ أحْ

أَوْخَمُ[2]

يشــــير إلى حـــديث عائشة رضي الله النبي أنه قــال: (**من أحدث في أمرنا ليس منه فهو رد)**[3].

وكذلك حديث العرباض الذي تقدم فيه قبل وفي آخــره: (وإيــاكم ومحــدثات الأمــور، فــإن محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة).

اترك جميع هذه البدع، فإن مصادرها ومواضـعها العاقبة لا خير فيها.

---

1 () رواه أحمــد: 4/126، وأبو داود: 4607، والترمــذي: 2676، وابن ماجـــه: 42. [والحـــديث صـــحيح "الإرواء" 2455ن المجلة].

2 () مرتع: موضع الرتع، ورتع رتعًا: أكل وشرب ما شـاء خصب وسعة.
أوخم: كثير الوخم، والوخم: الوباء (القاموس).
قال في النهاية: وَخُمَ الطعام، إذا ثقل فلم يستمر فهو وخيم، وقد تكـون الوخامة في المعـاني. يقـال: هـذا الأمر العاقبة: أي ثقيل رديء.

3 () رواه البخاري: 2697، 5/301، ومسلم: 1718.

149 وهيِّئ جَوَابًا

مِنَ اللهِ يَوْمَ العَرْض مَاذا

149 بِــهِ رُسُــلِي لمَّا أَتَـ

يَخْزَى وَيَنْدَمُ[1]

يشــير إلى قوله ســبحانه: ﴿**وَيَــوْمَ يُنَــادِيهِمْ فَيَقُــولُ مَــاذَا أَجَبْتُمْ الْمُرْسَــلِينَ**﴾[2]؛ عنــدما يسأل الله تبـارك وتعـالى العبـاد هـذا السـؤال منهم جوابًا. فهل أعددت له جوابًا؟ فلا شك في لأن من اتبع رسوله سيكون جوابه حاضرًا، ويستطيع أن يجيب عن نفسه بأنه آمن وصــدق واتبــع. وأما كذب وتولى؛ فما جوابه؟ وما حجتــه؟ بل لو يعد جوابًا ما اســتطاع؛ لأن الله ســبحانه **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمْ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ**﴾[3]؛ لا يستطيع أن يدلي بحجــة، إلا السكوت، فعندها ســوف يجــاوب عنهم غــيرهم، ومن كانت هذه حاله فلا شك في أنه من الهالكين.

نسأل الله الســلامة. وهـذا هو قــول المصــنف: (فمن يكن أجاب سواهم).

150- وخذ من تُقَى الــرَّ

ليَوم به تَبْدُو عيانًا جَهَنَّمُ[4]

---

1 () يخزي: يذل ويهان.

2 () سورة القصص: 65.

3 () سورة القصص: 66.

عليك أيها العبد أن تتخذ لنفسك وقاية وجُنة تجعلها بينك وبين النـار، وهـذه الوقاية هي تقـوى الله باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، ومراقبته في السر والعلن.

151-وَيُنْصَبُ ذاكَ الجسـرُ ،
مُسَلمُ[2]

يوم القيامة يـؤتى بجهنم تسـحبها الملائكـة، سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك[3]، ثم يوضع عليها جسر هو الصـــــراط. لما هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قـالا: قـال رسـول الله ﷺ: «**يجمع الله تبـارك وتعـالى النـاس... وترسل الأمانة والـرحم، فتقومـان جنبـتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق، ثم كمرَّ الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال؛ تجـري بهم أعمـالهم، ونـبيكم قـائم الصراط، يقول: رب سلم سـلم حـتى تعجز أعمـــال العبـــاد، حـــتى يجيء يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصـــراط كلاليب معلقة مـــأمورة بأخذ**

---

4 () جنـة: وقايـة. عيانًـا: رآه عيانًـا لم يشـك في رؤيتـه، ورأيت فلانًا عيانًا: أي مواجهة.

2 () متنهـا: ظهرهـا، هـاو: سـقط إلى أسـفل. مخـدوش: خدشه: خمشه، وخدش الجلد: مزقه.

3 () الحديث رواه مسلم: 2842.

أمـرت بـه؛ فمخـدوش نـاج، ومكـدوس النار»[1].

فالذي كـان يتقي ربه ويعمل بما أمـره الشـرع واتبع الرسول ﷺ فإنه سوف يعبر، ولكن العبور هـذا حسب العمل؛ فمنهم من ينجو سـليمًا، ومنهم من تخدشه هذه الكلاليب وينجو، ومنهم من يهوي في جهنم.

152- ويــأتي إلــهُ العَــالم

وَيَحْكُمُ[2]

(ويأتي إله العالمين) المجيء صفة من صفات الله تبارك وتعالى أثبتها لنفسه في كتابه؛ مثل قوله تعـالى: ﴿**هَـلْ يَنْظُـرُونَ إِلا أَنْ يَـأْتِيَهُمُ اللَّهُ ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَـةُ**﴾[3]، وقوله سـبحانه: ﴿**وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَـكُ صَـفًّا صَـفًّا**﴾[4]. وأثبتها رسـوله ﷺ[5] في سـنته؛ فنقـول: هو إتيـان يليق سـبحانه لا يشـبه إتيـان المخلـوقين؛ لأنــه: ﴿ **كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[6].

وإتمامًا للفائدة: أنقل لك بعض ما قــال

---

[1] () رواه مسلم: 195، والحديث معناه عند البخاري: 706، وأحمد: 2: 534.

[2] () يفصل: يقضي بينهم.

[3] () سورة البقرة: 210.

[4] () سورة الفجر: 22.

[5] () انظـر تفسـير ابن كثـير: 1:ـ 248، تحت تفسـير آيـة: 210، من سورة البقرة.

[6] () سورة الشورى: 11.

عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله[1]:

(وهذه الآية، وما أشبهها، دليل لمذهب السنة والجماعة المثبتين للصفات الاختيارية؛ كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، وأخبر عنه رسوله ﷺ.

فيثبتونها لمعانيها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل، خلافًا للمعطلة على اختلاف أنواعهم؛ من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات، بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان؛ بل حقيقتها القدح في الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو تحصل به الهداية في هذا الباب) إلى آخر ما قال، رحمه الله تعالى.

قول المصنف: (لوعده): يعني الذي ذكره كتابه في آيات عدة؛ أن الخلق سوف يبعثون يوم القيامة، وتنصب لهم الموازين، وتوضع الكتب، وتتطاير الصحف.

153- وَيَأْخُذُ للمظلوم رَ... يظلمُ[2]

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من**

[1] () تفسير ابن سعدي الذي اسمه: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 1: 187.

[2] () بؤس: بئس بؤسًا: اشتدت حاجته (القاموس).

كـانت عنـده مظلمة لأخيه فليتحلل منهـا؛ فإنه ليس ثم دينـــار ولا درهم، يؤخذ لأخيه من حســناته؛ فـــإن حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[1].

الله سـبحانه هو أعـدل من عـدل، وأحكم حكم، ومن عدله سبحانه أن يحكم بين البهائم.

عن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول **«لتـؤدن الحقـوق إلى أهلها يـوم القيامـة، حـتى يقـاد للشـاة الجلحـاء من القرناء»**[2].

154- وَيُنْشَـــرُ دِيـــ...

مَوازينُ بالقسْط الذي ...[3]

يشـير إلى قـول الله تبـارك وتعـالى: **وَنَضَـعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْـطَ لِيَـوْمِ الْقِيَامَـةِ فَلا نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**[4].

عن أبي هريـرة ، عن النـبي قـال: **«يد ملأى لا تغيضـها نفقـة... ثم قـال: وكـان**

---

[1] () رواه البخاري: 6534، 11: 395، وأحمد: 2: 506.

[2] () رواه مسـلم: 2582، والترمـذي: 2420، وأحمـد: 2/ 235.

[3] () ينشر: يبسط، وهو خلاف الطي. القسط: العدل.

[4] () سورة الأنبياء: 47.

عرشه على الماء وبيده الميزان ويرفع يقول سبحانه: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]»[2].

155- فلا مُجْرِمٌ ... يُهْضَمُ[3]

المجرم الذي فعل المنكرات، وأتى بالطامات؛ فإنه سوف يعاقب على قدر جرمه؛ فليس أجرم تصب عليه التهم، ويرمى بما لم يفعل. كلا فإن هذا ليس من عدل الله سبحانه، بل كل يعاقب بقدر ما اقترفت يداه؛ يقول سبحانه: ﴿**وَمَنْ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى يُظْلَمُونَ**﴾[4].

وكذلك الذي عمل الصالحات، وأشغل نفسه بالقربات، فإن الله جل في علاه لا يضيع له من عمله، وإنما يضاعفه وينميه[5] له، لأنه جواد.

156- وَتشْهَدُ أعضـ .. يَخْتمُ[6]

---

1 () سورة الكهف: 49.

2 () الحديث رواه البخاري: 4684، 8: 352.

3 () ظلامة: ما تطلبه عند الظالم، وهو اسم ما أخذه منك (مختار الصحاح).

4 () سورة الأنعام: 160.

5 () انظر الحديث تحت البيت رقم : 159.

6 () جنى: جنى الذنب عليه يجنيه جناية : جره إليه.

المهيمن: من أسماء الله تعالى في معنى المؤمن مَن آمن

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1].

إن العاصي المجرم إذا أراد أن يكذب على نفسه كما تعود في الدنيا أن يكذب على عباد الله، فإنه يوم يغلق الفم ولا ينطق اللسان؛ وإنما الجوارح والأعضاء التي كانت صامتة في الدنيا، اللسان الذي كان لا يتحرك بذكر الله، وإنما كانت بالفاحش من القول؛ فإنه ليس له دور يذكر يوم القيامة.

157- فَيَا لِيْتَ شعْري كَيْـ
تَطايْرُ كُتْبُ العَالمينَ

158- أتَأخُذُ باليُمْنَى كِتَابَـ
بالأخْرَى وَرَاءَ الظَّهْر منْكَ

تمنٍّ ممزوج بإشفاق على هيئة استفسار حالك أيها العبد؛ يوم القيامة عندما تتطاير الكتب يوم العرض الأكبر وتوزع عليهم. هل أنت عمل في الدنيا بطاعة الله سبحانه، الرسول ﷺ، ووحد الله وأخلص له في كل شيء؟ فهذا سوف يأخذ كتابه بيمينه، ويكون فرحه الفرح الحقيقي الذي لا يوصف، بل ينادي

غيره من الخوف (القاموس).

يختم: يطبع عليه فلا يستطيع الكلام.

[1] () سورة يس: 65.

رءوس الأشهاد: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**﴾[1].

أما الفريق الآخر الـــذي لم يرفع رأسًـــا، بل كـــان همه أن يأكل ويتمتع البهائم، بل هو أضـل؛ لأن البهـائم خلقت لهـذا، خلق لشـــيء أعظم فضـــيعه. فهـــذا يُعطى بشـــماله من وراء ظهـــره؛ زيـــادة له والتنكيـل: ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَـهُ وَرَاءَ ظَهْـرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا**﴾[2].

ويقول سبحانه عن أولئك يـوم القيامـة: ﴿**مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ**﴾[3].

159- وَتَقرأ فِيه كُلَّ شَيء عَمِلْتَهُ فَيُشْرِقُ منكَ الوَجهُ أوْ هُوَ يُظْلِمُ

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4]، الـذي عمل الصـالحات سـوف يـرى سبحانه قد ضاعفها له أضعافًا كثيرة، ولم يتوقع أن له مثل هـذه الحسـنات، ولا أقل منها بكثـير، عندئذ ويشرق وجهه فرحًا وبهجة. عن أبي هريـرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تصدق أحدٌ بصـدقة**

---

1 () سورة الحاقة: 19.

2 () سورة الانشقاق: 10- 11.

3 () سورة الحاقة: 25.

4 () سورة الجاثية: 29.

من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه - وإن كانت تمرة- فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه فصيله»[1].

وأما المكذب العاصي فلا يرى في الأعمال القبيحة التي اقترفها في الدنيا، عندها يحزن حزنًا عميقًا، وتأخذه الكآبة، ويظلم وجهه شفقة منه نفسه من العذاب، وندمًا على ما صدر منه.

160- تَقُولُ كتَابي فاقْرَءوهُ ف
يُبَشّرُ بالفَوْز العَظِيم وَيُعلمُ[2]

161- فإنْ تَكُن الأخْرَى فإنَّكَ قَائلٌ
أَلا ليْتَني لَمْ أوتَهُ فَهو مُغْرَمُ[3]

يشير إلى قول الحق سبحانه في كتابه عن أصناف الخلق يوم القيامة: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ويقول الحق سبحانه وتعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي**

---

[1] () رواه البخاري: 1410، ومسلم : 1014.

[2] () يعلم: يخبر.

[3] () مغرم: قال في لسان العرب: وفي حديث معاذ: ضربهم الله بذل مغرم أي لازم دائم، يقال: فلان مغرم بكذا : أي لازم له مولع به.

[4] () سورة الحاقة: 19.

كِتَابِيَهْ﴾[1].

الذين يكرمهم الله يوم القيامة، ويدخلهم رحمته، فإنهم يستلمون الكتاب باليمين ويفرحون به أشد الفرح؛ كيف لا ؟ وهو يبشرهم العظيم، ويخبرهم أنهم من السعداء.

أما الذين خذلهم الله، فإنهم يستلمون الكتاب بالشمال، ويحزنون به أبلغ الحزن، ويتمنون يستلموه ولم يروه؛ لأنه يخبرهم بمصيرهم المشئوم في دركات الجحيم، ويحاولون أن يبتعدوا عنه، لكنه لهم لا يفارقهم، حتى يدخلهم النار.

162- فَبَادِر إذا مَا دَامَ في ا

وَعَدْلُكَ مقبولٌ وَصرْفُكَ قيِّمُ[2]

بعد أن عرفت أن الحياة جسر عبور للآخرة، وهي لحظات سوف تنقضي ثم ترد إلى سبحانه لترى أمامك كل ما قدمت. وعرفت أن المقصر هنا كيف يندم هناك، ويتمنى أنه لو يُرد إلى الدنيا فيعمل من الطاعات كي ينال سبحانه: ﴿**قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾[3]. إذا عرفت هذا وعقلته؛ تصور نفسك أنك من يقول هذا. فها أنت قد

---

1 () سورة الحاقة: 25.

2 () فبادر: أسرع، فسحة: سعة، عدلك : رجل عدل: أي رضا ومَقنَع. صرفك: الصرف: التوبة.

3 () سورة المؤمنون: 99- 100.

إلى الـدنيا، فبـادر إلى مرضـات الله سـبحانه. بـادر إلى فعل ما أمرت به، واجتنب كل ما نهيت عنه، ولا تحـاول أن تلتمس لنفسك الأعـذار من هنا وهنـاك، فلربما قبل منك العذر في الدنيا ويكون مردودًا يوم القيامة؛ لأن المؤاخذة في الدنيا على الظاهر، بينما في الآخــرة يخــبرك الله ســبحانه بما يجــول خاطرك.

قوله: (وعدلك مقبـول...) يعـني: لو تبت ورجعت إلى الله سبحانه فسوف يقبلك ويتوب عليك.

163- وَجِـــدَّ وَسَـــارِعْ وَاغْتَنِمْ

فَفِي زَمنِ الإمْكَان تَسْعَى

أكثر من الطاعات ما دمت تستطيع أن تفعلهـا؛ لأنك ســوف تهــرم ويصــعب العمــل؛ فتنــدم شــيخوختك وتقـول: ليتـني عملت قبل أن يضـعف حالي وتـذهب قـوتي، وفيه إشـارة إلى حـديث عباس رضي الله عنهمـا. قـال: قـال رسـول الله لرجل وهو يعظـه: «**اغتنم خمسًـا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصـحتك قبل سـقمك، وغنـاك قبل فقـرك، وفراغك قبل شـغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

164- وَسرْ مُسْرِعًا فَالموتُ خَلفَكَ

---

[1] () رواه الحاكم: 4:ـ 306، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفرٌّ وَمْهزَمُ

أسرع أنت في عمل الطاعات والإكثار منها؛ لأن الموت خلفك يطلبك، ولا محالة أنه لاحق فلم ينجُ أحد قبلك، وهو شيء الخلق؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[1].

165- فهُنَّ المَنَايَا أيَّ وَا

عَليْها القُدُومُ أوْ عَليكَ سَتُقْدمُ

يقول المولى جل في علاه: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ**﴾[2]. فالموت لا بد منه لكل إلا الحي القيوم، فلِمَ يجبن الإنسان ويترك الصدع بالحق؟ أو يخاف الموت، ولا يذهب إلى الجهاد سبيل الله ؟ فما دام الموت حالّ بك إن عليه. وإن تقاعست وجلست فإنه هو سوف يقدم عليك؛ يقول سبحانه: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ مَضَاجِعِهِمْ**﴾[3].

166- وَمَا ذَاكَ إلا غَيْرَةً

أعلمُ[4]

---

[1] () سورة الزمر: 30.

[2] () سورة النساء: 78.

[3] () سورة آل عمران: 154.

[4] () غيرة: الغيرة: الحمية والأنفة (النهاية في غريب الحديث).

الكفء: المساوي، يعني: لا يحصل عليها غير الذي يستحقها.

167- وإنْ حُجبَتْ عَنَّا بكُلِّ كَرِ
وَيُؤْلِمُ[1]

إن الله سبحانه حف الجنة بالمكاره، التضحية بالنفس، والمال، والوقت، وسهر الليل بالقيام، وظمأ الهواجر بالصوم؛ كل هذا حتى يدخلها من بصدق لا طلب ادعاء فقط، فكل يدعي وصلا بليلى.

168- فلله مَا فِي حَ
وأصْناف لذَّاتِ بها يُتَنَعّمُ[2]

يتعجب المصنف، رحمه الله، مما أعد الله سبحانه بداخل الجنة من النعيم، ووسائل الراحة والبهجة.

169- وَلله بَـرْدُ العَيْش بَيْنَ خِيا
يَبْسمُ[3]

ويتعجب كذلك من وبساتينها، ومن الابتسامة التي تتولد من النظر إلى ما يريح النفس وينعشها.

170- وَلله وَاديهَا الذي هُوَ مَو
منْهُمُ[4]

---

1 () حجبت: سترت. كريهة: الكره: المشقة، يعني جُعل بين الإنسان وبين الجنة سواتر من الأشياء التي لا ترغب النفس أن تفعلها.

2 () فلله: للتعجب. حشوها : الحشو: ملئ الوسادة، يعني: ما بداخلها (ترتيب القاموس).

3 () الثغر: الفم (ترتيب القاموس).
برد العيش: عيش بارد: هنيء (ترتيب القاموس).

4 () موعد المزيد : يأتي شرحه تحت البيت رقم 202.

171- بـذِّيَّالكَ الـوادي يَهيمُ صَـبَا

مُحبٍّ يَرى أنَّ الصَّبابة مَغْنَمُ[1]

ويتعجب من الـوادي الـذي يجعله الله سـبحانه المكان الـذي يجتمع فيه أهل الجنـة، ليـوم المزيـد، عندما يدعوهم الحق جل في علاه لزيارته.

فكل مسـلم تتـوق نفسـه، ويتقطع شـوقًا إلى الوادي، ويرى أن الشوق إليه والحب فيه غنيمة وفوز.

172- ولله أفْـراحُ المحبِّين عنـ

وَيُسَلمُ[2]

من أشد فرحة المؤمـــنين وأعظمها الجنة؛ إذ يكلمهم ربهم سبحانه وتعالى ويسلم عليهم.

173- ولله أَبْصَــارٌ تَــرى

تَسْأمُ[3]

يتعجب من تلك الأبصـــار الـــتي تنظر سـبحانه وتعـالى. بالإضـافة إلى ما لها من الـذي لا يوصف ولا يتطـرق إليه النقص ولا وهم في العيش الرغيد الذي لا سآمة معه أبدًا.

---

[1] () بذيالك: ذياك: تصغير (ذا) اسم الإشارة والكاف حرف خطاب، ويعرب اسم الإشارة (معجم الشوارد النحوية).
الصبابة: الشوق.

[2] () مخاطبة اللـه لأهـل الجنـة: انظـر شـرح الـبيت رقم : 202ـ- 207، أمـا التسـليم : انظـر شـرح الـبيت رقم : 210.

[3] () الضيم : النقص أو الظلم (ترتيب القاموس).
يغشاها: يأتيها (النهاية في غريب الحديث). تسأم: تمل.

اعلم أن هـذا الـبيت والـذي قبله الـذي فيهما المصنف بعض صفات الله سبحانه؛ كأن يراه المؤمنـون بأبصـارهم يـوم القيامـة، وتكليم الجنة، وغيرها من الصفات الثابتة الـتي لم يتطـرق إليها المصـنف، هي على حقيقتهـا؛ كما هو أهل السنة والجماعة[1].

174- فَيَا نَظـرَةً أهْـدَتْ إلى الزِ

المُتَيمُ[2]

وهـذه النظـرة الـتي ينظرها العبد إلى ربـه، وتعالى، تجعله يزداد حسنًا وبهاءً، ويزداد حبه لربه سبحانه؛ فلا يغفل عنه ولا ينساه.

175- وَلله كمْ من

أضَاءَ لهَا نُورٌ منَ الفَجْر[3]

يتعجب من الحور العين التي إذا تبسـمت منها نور أعظم من نور الفجر، وفيه إشارة إلى ما روى ابن مسعود ، عن النـبي أنه قـال: «**سـطع نور في الجنة فرفعوا رءوسهم فإذا هو من**

---

1. () انظر شرح البيت رقم : (152).
2. () نظرة: من النظر بالأبصـار. نضـرة: النعمـة والحُسْـن (ترتيب القاموس).
يسلو: ينسى . المتيّم : اسـتعبده الهـوى حـتى ذهب بعقلـه. لسان العرب.
3. () خيرة : كثيرة الخير، يعني من الحور العين.
تبسمت : التبسم أقل الضحك وأحسنه.

ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها»[1].

وعن أنس ، عن النبي أنه قال: **في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا»**[2].

176- فَيَا لذَّة الأَبْصَارِ إِن هي أَقْبَلَتْ
وَيَا لَذَّةَ الأسمَاعِ حِين تَكَلّمُ

الذي ينظر إليها يستمتع ويجد لذة، وكذلك بالحديث معها؛ فهي خيرة، وكلها خير.

177- وَيَا خجْلةَ الغُصْن الرَّطيب إِذا انْثَنَتْ
تَبَسَّمُ[3]

---

[1] () رواه الخطيب في تاريخ بغداد : 8: 253، و 11: 163.
وذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه إلى الحاكم في الكنى والخطيب في التاريخ ورمز له بالضعف.
قال المناوي في فيض القدير: 4: 105: وفيه حلس بن محمد، قال الذهبي في الضعفاء: مجهول، وقال في الميزان : إن الحديث باطل.
قال الألباني في ضعيف الجامع : موضوع.

[2] () رواه البخاري : 2796، ورواه مسلم : 1880 مختصرًا.

[3] () خجلة الغصن: خجل النبت: طال والتف.
والخَجَلُ: الاسترخاء من الحياء.
الغصن الرطيب: ناعم (لسان العرب).

إنها جميلة وطويلـة، وإذا مشت تمـايلت باسـترخاء، وعندما تتبسم يسطع النور من وجهها كأنه نور الفجر.

178- فَــــــإنْ كُنْتَ ذَا

فَلمْ يَبْقَ إِلا وصْلها لكَ مَرهَمُ[1]

فإذا كان قلبك قد تعلق بها ومرض من شـدة الشـوق إليهـا، فليس لك دواء ولا حيلة إلا أن تسـعى وتجد لكي تؤهل نفسك لنيلها والحصول عليها.

179- وَلا سِــــــيَّمَا في

معْصمُ[2]

وأفضل من ذلك عندما تضمها إليك وتقبل فمهـا، وضعت يدها أو ساعد يدها تحت عنقك.

180- تَــراهُ إذا أَبْــدَتْ لَه

يَلذُّ بهَا قبْل الوصَال وَيَنْعَمُ[3]

181- تَفَكَّهُ منْها الـ

يُعْدَمُ[4]

---

[1] () عليل: مريض (المعجم الوسيط).
مرهم: دواء مركب للجراحات (ترتيب القاموس).

[2] () سيمّا: سي: بمعنى مثـل و(لا سـيما) نسـتخدمه عنـد التعبـير عن أن شـيئا يفضُـل الآخـر في قـدره (معجم الشوارد النحوية) . لثمها : لثم فاها: قبلها.
الجيـد: العنـق. المعصـم : اليـد، أو موضـع السـوار من اليـد (ترتيب القاموس).

[3] () أبدت: أظهرت . الوصـل: ضـد الهجـران، ويكـون في عفاف الحب ودعارته. (لسان العرب).

[4] () تفكه : تتمتـع. اجتلائهـا: عرضـها عليـه مجلـوة، يعـني واضحة.

تجده بمجرد أن تبدو له وتظهـر، فإنه يتلـذذ ويسـتمتع بـالنظر إليها قبل أن تصل إليـه، أما إذا تغشـاها فتلك أخرى.

182- عَناقيـــدَ منْ كَ
مُغرمُ (1)

183- وللوَرْد مَا قَد ألبسَ
وَلِلْخَمْرِ ما قَدْ ضَمَّهُ الرِّيقُ

184- تَقسَّـمَ منْها الْحُسْـ
فَيَا عَجَبًا مِن واحدٍ يَتقسَّمُ

185- لها فــرَقٌ شَــتَّى
بجُمْلتها أنَّ السُّلوَّ مُحرَّمُ (2)

ذكر المصنف، رحمه الله تعالى شيئًا يسيرًا من صـفات نسـاء الجنــة، ولا شك في أن حقيقة أكبر من ذلك بكثير، فمهما بالغ الإنسـان في الحـــور العين، فإنه لا يســتطيع أن يعطي كاملة عنهن، وإنما يقـــرب إلى صفاتهن.

روى البخاري: (3245)، ومسـلم: (2834) (17)، عن أبي هريـرة ، قـال: قـال رسـول الله **«أول زمـرة يــدخلون الجنــة.. ولكل**

المجلي: الواضح.

(1) عناقيد: جمع عنقود العنب (مختار الصحاح).
مغرم: أسير الحب (ترتيب القاموس).

(2) السلو: سلاه: هجره ونسيه.

منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من اللحم من الحسن».

كيف تستطيع أن تصف مخلوقة حسنها يُرى مخ ساقها؟ وهذا مصداق لما أخرج البخاري: (3244)، ومسلم: (2824)، عن أبي هريرة ، عن النبي قال: «**قال الله عز أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»**.

186- تُذكِّرُ بالرَّحْمنِ مَنْ يَتلعْثمُ[1]

من المعتاد عند أي إنسان أنه إذا رأى شيئًا المعتاد، وقد أعجبه منظره، أن يقول: سبحان الله، وهذه العبارة تخرج منه تلقائيا من غير تكلف ولا إعداد، يرى الحورية وما هي عليه من حسن وجمال، بمجرد يقع عليها بصره تجده يقول: سبحان الله؛ منبهرًا مما يرى من عظمة ذلك الجمال.

187- إذا قابلتْ جَيشَ الهُ يُهْزَمُ[2]

يقول المصنف رحمه الله تعالى، بأن الذي يجالس الحورية ويضاجعها، لو أنه هجمت عليه الهموم والأحزان

---

1 () يتلعثم: تلعثم : تمكَّث وتوقف وتأنى (ترتيب القاموس).

2 () تولى على أعقابه: رجع خاسرًا إلى الوراء.

كهجوم الجيش، فإن الهمـوم تنهـزم وتـذهب ولا يبقى أثر.

188- وَلمَّا جَـــرَى مَـــاءُ الشّ

تَيَقَّنَ حقًّا أَنَّهُ لَيْسَ يَهْرَمُ[1]

لما خلقها الخـالق سـبحانه وتعـالى، وأصـبحت ريعـان شـبابها، فإنها سـوف تبقى على هـذه الدهر، ولا يعتريها الكبر ولا الشيخوخة.

189- فيَا خَاطبَ الحَسْـنَاءِ إنْ كُ

فَهَذا زَمانُ المَهْر فَهْوَ المُقَدَّمُ

الــذي يــرغب بــأن يكــون من خطــاب الكواعب الأتراب والحور العين، فلا بد له من تقديم المهر، والمهر لا بد أن يكون مقدمًا (عـاجلاً) الحياة الـدنيا؛ فيجعل له رصـيدًا عند الله سـبحانه، من عمل الصالحات، وتقديم القربات؛ فإنه وقت تقديم المهر.

190- وَكُنْ مُبْغضًا للخَائنـات لح

وَتَنْعمُ[2]

يحـذرك من الوقـوع في الـزنى ويـأمرك تحب التي تخون حبيبها وتأتيك، فعليك أن تبغضها وتبتعد عنها وعن كل ما يبعـدك عن الله

---

[1] () الهرم: أقصى الكبر (ترتيب القاموس).

[2] () لحبها: الحِب بكسر الحاء: الحـبيب. فتحظى : حظيت المرأة عند زوجها: سعدت ودنت من قلبه وأحبها (لسـان العرب).

عسى أن تحظى بـالحور الجميلات اللاتي لا يعـرفن الخيانة؛ إذ هن: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾.

191- وَكُنْ أيّمَا مِمَّنْ سـوَاهَا فإ

لِمثْلك في جَنَّات عَدْنٍ تَأيَّمُ[2]

هذا البيت والذي قبله، فيهما إشـارة ولو من بعيد الترغيب عن الزواج، وإذا حملناهما على هذا المحمل، ولا شك في أنه مخـالف لمبـادئ الإسـلام الـذي يحث الـزواج، وعلى كـثرة الإنجـاب، ولكن من الممكن المعـنى على تـرك ذلك في الحـرام، والإقبـال الحلال، أي أن الذي لا يستطيع الحصول عليه من الحلال فلا بد له أن يئيم نفسـه، لعل الله أن يرزقه من تـأيمت في الجنة.

192- وَصُمْ يَوْمَكَ الأدْنى لعَلكَ في

تَفُوز بعيد الفطر والنّاسُ صُوَّمُ

أكـثر من صـيام التطـوع في الـدنيا، فإنك تستطيع أن تقدم عملا صالحًا، أما يوم غدٍ فإنك لا تدري ما الله صانع به؛ قد يـأتي وأنت من أصـحاب القبـور، فـاغتنم يومك هذا، واظمأ في نهاره بالصوم، واسهر ليله لعلك تفوز يوم القيامة؛ حين يعطش الناس وأنت تشرب من الحوض، وأنت تتنعم في جنات ونهـر، وغـيرك على قطرة ماء وما هو بمحصلها.

193- وأَقْـــــدمْ وَلا

---

[2] () الأيم: الذي لا زوج له؛ رجلاً كان أو امرأة.

يُقْدمُ[1]

كن شجاعًا في الإقـدام على عمل الطاعـات، من فعل الطاعات والقربات، ولا تركن إلى الدنيا التي كل ما فيها منغص ممـزوج بالأكـدار والأحـزان. وشـمر ساعد الجد، واجعل الآخرة همك؛ لعلك إن فعلت هـذا رضوان الله سبحانه. أما القاعد المتكاسل المتخـاذل يكن من الفائزين، وإنما هو من النادمين.

194- وَإنْ ضَـاقَت الـدُّنْيا عَا

وَلَمْ يَكُ فِيها مَنْزِلٌ لكَ يُعْلمُ

195- فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّها

مَنَازلكَ الأُولى وَفيها المُخَيَّمُ

روى مسلم (2956)، عن أبي هريـرة ، قـال: قال رسول الله : «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

المؤمن في الحياة الدنيا مكلف بأوامر الشـرع، لا يستطيع أن يخرج عنهـا؛ فلا يسـتطيع أن يفعل نهاه الشرع عن فعله، ولا يستطيع ألا يفعل ما أمره الشرع بفعله؛ فكأنه مقيد بحدود وضعها الشـارع لا يجوز له أن يتخطاها، فإنه في سجن؛ فإذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وضـاقت عليه عليه إلا أن يتذكر أنه مخلوق له خالق، وأنه عبد له رب يـأمره وينهـاه، وجعل جـزاء المطيع

[1] () أقدم : الإقدام: الشجاعة . منغَّص: مكدَّر.

بالجنـات وجـزاء العاصي جهنم، فإنه يسـلي بما أعد الله سبحانه لأهل طاعته، ويسلي نفسه بـــالمنزل الأول حينما أخرجه الله من وأشهده على نفسه.

ويـأمرك المصـنف أن تقبل على الجنـات؛ والإقبـال عليها يعني الإقبال على الأعمال التي يحبها الله لكي يقبلها منك، ثم يثيبك بعد ذلك الجنات التي وعدك إياها؛ وهي المنازل الحقيقية للإنسان؛ لأنها المكان الدائم الذي لا يزول.

196- وَلكنَّنا سَبْيُ العَدوِّ فَهَلْ تَرى نَعُودُ إِلى أوْطاننَا وَنُسَلمُ[1]

يمثل النـاس في الـدنيا كمثل شـخص أخـذه أسيرًا وحبسوه عندهم، فهو يترقب الساعة التي يؤذن له فيها بالذهاب إلى وطنه والسلام على أهله؛ فالإنسان في الدنيا هكذا: وطنه الجنة، وأهله الحـور العين. فهو عمل الليل بالنهار حتى يؤهل نفسه لكي يذهب إلى وطنه وأهله.

197- وَقَد زَعَمـوا أنَّ الغـريب

مؤْلِمُ[2]

198- وأيُّ اغْتِـراب فَـوْقَ

---

[1] () السبي: الأسر.

[2] () نأى : بعد. شطت: بعدت (ترتيب القاموس). التألم : التوجع . الإيلام: الإيجاع (لسان العرب).

لها أَضْحَت الأعداءُ فينَا تَحكَّمُ[1]

قــالوا: إن الإنســان إذا بعد عن وطنه وأصبح غريبًا بين أناس لا يعرفهم، فإنه لا تطمئن نفسه، ولا يشعر بالراحة والاستئناس، بل إن دائمًا مشغول في الرجوع إلى أهله.

إذا كان هذا حال الغريب، فـأي غربة أعظم غربة الإنسـان في الـدنيا الـتي ليس له فيها وهو فيها غريب؛ لأن أوطانه بعيدة عنه - ألا وهي الجنة - بالإضـافة على أن من يتحكم فيه ويســيطر على كثــير من تصــرفاته هم الأعــداء؛ ويقصد النفس، والشيطان؛ فهما قريبان منه؛ مع أنهما من ألدِّ أعدائه الذين تجب مخـالفتهم لكي ينجو ويفـوز: **﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَــإِنَّ الْجَنَّةَ الْمَأْوَى﴾**[2] أما إذا أطاعهم فإن مصيره الهلاك.

199- وَحيَّ عَلى رَوضَــ

وَحيَّ على عَيش بها ليْسَ[3]

أقبلـــوا على العمل الـــذي إن قبله فسوف يـدخلكم - برحمتـه- جنـات؛ فيها ما لا رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ قــال الحق ســبحانه: **﴿وَالَّذِينَ آَمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّـــــالِحَاتِ فِي رَوْضَـــــاتِ الْجَنَّاتِ**

---

[1] () أضحت: ظلت (مختار الصحاح).

[2] () سورة النازعات: 40- 41.

[3] () يسأم : يمل.

يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ**﴾[2].

وفيها من الخيام ما يعجز الوصف عنه؛ تعالى: ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾[3].

روى البخاري: (4879) 8: 624، ومسلم 2838)، عن عبد الله بن قيس ، أن رسول الله قال: «**إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن**».

والعيش في الجنة لا يمل؛ روى مسلم (2836) عن أبي هريرة ، عن النبي قال: «**من الجنة ينعم ولا يبأس**»، أي لا يصيبه بؤس، يعيش في نعيم مقيم دائم لا ينقطع.

200- وَحَيَّ على السُّـ
المحبون، ذاك السوق

201- فَمَا شئْتَ خُذْ مِنْـهُ
فَقَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارِ فيه[4]

---

[1] () سورة الشورى : 22.

[2] () سورة الروم: 15.

[3] () سورة الرحمن : 72.

[4] () أسلف: السَّلَفُ: السَّلمُ، اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردّه كما أخذه، وكل عمل صالح قدمته. (القاموس).

روى مسلم في صحيحه: (2833)، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله قال: «**إن في لسوقًا يأتونها كل جمعة، الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالاً...**» الحديث.

ذكر المصنف، رحمه الله، في كتابه الأرواح) بابًا في ذكر سوق الجنة، وذكر فيه هذا الحديث الذي رواه مسلم، وذكر أحاديث غيره، منها:

حديث طويل يرويه أبو هريرة ، عن وفيه: «**فيأتون سوقًا قد حفت به الملائكة، فيه ما لم تنظر العيون إلى تسمع الآذان، ولم يخطر على فيحمل لنا ما اشتهينا؛ ليس يباع ولا يشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا...**» الحديث؛ رواه الترمذي 2549)، وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه: 4336)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (1722).

وذكر حديثًا آخر عن علي قال: قال رسول الله : «**إن في الجنة لسوقًا ما فيها ولا بيع إلا الصُّوَرَ من الرجال والنساء، اشتهى الرجل صورة دخل فيها**

الترمذي (2550)، وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: (1982).

يحث المصنف، رحمه الله، في هذين البيتين، الإقبال إلى ذلك السوق الذي يقام في الجنة، حيث يلتقي فيه الأحباب، ويتزودون من نعم الله وعطاياه تنفذ. أما البضاعة التي فيها فليس للبيع بل هي للعرض وفيه كل ما يشتهي الإنسان، وله أن يأخذ ما أراد؛ دفع الثمن مقدمًا في الدنيا.

202- وحَيَّ عَلَى يَـوْم المَزِ
مَوْسمُ[1]

203- وَحيَّ عَلَى وادٍ هُنَ
أعْظَمُ[2]

204- مَنَـابِرُ مِنْ نُـورٍ هُنـ
وَمِنْ خَالص العقْيَان لاَ[3]

205- وَمَنْ حَولها
لِمَنْ دُونهمْ، هذا العَطاءُ[4]

206- يَرَوْنَ بِه الرَّحْمَنَ - جلَّ

---

[1] () موسم: مجتمع. موسم الحج: مجتمعه (القاموس المحيط).

[2] () أفيح : واسع . الأفيح والفياح: كل موضع واسع (لسان العرب). ويمكن أن يكون : ذو رائحة طيبة. فهو وادٍ تفوح منه رائحة المسك.

[3] () العقيان: ذهب ينبت. تتقصم : تتكسر (القاموس).

[4] () هذا البيت جاء في حادي الأرواح هكذا (وكثبان مسك قد جعلن مقاعدًا لمن دون أصحاب المنابر يعلم).

207-أو الشَّمس صحوًا لَيْسَ أَدْنى غَمَامَةٍ كَرُؤْيَة بدر التَّمّ لا يُتَوَهَّمُ[1]

سَحَابٌ وَلا غيْمٌ هُنَاكَ يُغَيِّمُ

ذكر المصنف، رحمه الله تعالى، يوم الذي يزور فيه أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى، حيث يجمعهم في ذلك الوادي الذي تفوح المسك، تلك الرائحة الزكية العطرة، ويجلسهم على حسب أعمالهم؛ بعضهم على منابر من وبعضهم على كثبان المسك. ثم يتجلى لهم ربهم سبحانه وتعالى فيرونه بأبصارهم رؤية واضحة لبس فيها، ولا غموض.

روى الإمام الشافعي في المسند: ص وابن أبي شيبة في المصنف: 2ـ 150، وأبو يعلى في المسند: (4228)، عن أنس [2]، قال: قال رسول الله : «**أتاني جبريل وفي كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء، فقلت: يا جبريل، ما هذه؟ قال: الجمعة،**

وكثبان: تلال. لمن دونهم: لمن تحتهم منزلة وأقل منهم درجة.

المفخّم: الفخم: العظيم القدر. التفخيم: التعظيم.

1 () بدر التَّمِّ: القمر إذا امتلأ فبهر، فهو بدر تام . (القاموس).

2 () الحديث صححه البوصيري وأشار لجودة إسناده ابن حجر في المطالب العالية: 1ـ 157، وسند أبي يعلى جيد (المجلة).

قـال: قلت: وما الجمعة ؟ قـال: لكم خير، قال: قلت: وما لنا فيها ؟ قال: يكون عيـدًا لك ولقومك من بعـدك... ثم ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المزيد، قال: قلت: مم ذاك ؟ قال: لأن ربك تبـارك وتعـــالى اتخذ في الجنة أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرســيه، تبـــارك وتعـــالى، الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النـبيون حـتى يجلسـوا عليهـا، وينزل أهل الغرف حـتى يجلسـوا على الكثيب. ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، ثم يقول: سلوني...» الحديث.

أما رؤية الله جل وعلا؛ ففي هـــذا وكذلك في قوله سبحانه: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1].

وروى البخاري (4878)، ومسلم: (180)، عن أبي موسى الأشـعري ﷺ، عن النـبي ﷺ قـال: **بين القـوم وبين أن ينظـروا إلى رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**.

وروى البخاري: (806)، ومسلم: (182)، من حديث أبي هريـرة ﷺ، الطويل الـذي أولـه: إن

---

[1] () سورة القيامة: 22- 23.

قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟... فإنكم ترونه كذلك»**.

وروى مسلم: (181)، عن صهيب ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ فيكشِفُ الحجابَ، فما أعطوا شيئًا إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»**.

قال ابن القيم في حادي الأرواح سألت عن يوم المزيد، وزيارة العزيز الحميد، وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه؛ كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر... إلى آخر ما قال من فراجعه فإنه نفيس.

208- فَبَيْنا هُمُ في عَيْشهمْ وَتُقْسَمُ[1]

210- إذا هُمْ بِنُورٍ سَـ هُمُ[2]

---

[1] () فبينا: بينا: مؤلفة من (بين) الظرفية الزمانية والألف الزائدة، وتختص بالزمان (معجم الشوارد النحوية).

[2] () ساطع: سطع : ارتفع. بدا: ظهر (القاموس المحيط). هذا البيت - والبيتان بعده - جاء في كتاب حادي الأرواح

210- بِــربهم من فــوق ... ونعمتُمُ[1]

211- يَقــولُ: سَــلوني ... تُرِيدُون عنُدي إنَّني أنا

212- فَقــــالوا جَميعًا ... فَأنتَ الَّذي تُولي الجَميلَ[2]

213- فَيُعْطيهمُ هَــ ... عَليه تَعالى اللهُ فاللهُ

يشير إلى ما أخرج ابن ماجه (184)، عن جابر ، قال: قال رســول الله : «**بينا أهل الجنة نعيمهم، إذ ســـطع لهم نـــور، رءوسهم، فإذا الـرب قد أشـرف عليهم فـــوقهم، فقـــال: الســـلام عليكم الجنة، قال: وذلك قول الله: سَلامٌ قَوْلا مِنْ**

هكذا.

إذا هم بنـــــور ســـــاطع بأقطارها الجنـــــــــات

تجلى لهم رب السماوات جهرة فيضــــــحك فـــــوق العـــــرش

ســـــلام عليكم يســـــــمعون بــــــآذانهم تســــــليمه

[1] () طبتم : طهرتم . نعمتم : من المسرة والفرح والترفه (النهاية في غريب الحديث).

[2] () تولي: تحب، أي تحب أن تعطي العطاء الكثير.

رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[1]، قال: فينظر إليهم وينظـرون إليه...».

قال البوصيري في مصباح الزجاجـة: 1:ـ 86 هذا إسناد ضعيف، لضعف الفضل بن عيسـى: قـال الألباني في المشـكاة: (5664): إسـناده ضـعيف. وذكـــره في ضـــعيف الجـــامع (2363). وذكـــره المنـذري في الـترغيب وعـزاه إلى ابن أبي الـدنيا. والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره: 3: 575، من رواية ابن أبي حاتم، وقال عنه: وفي إسناده نظر.

أما قولـه: (يقـول سـلوني...) فإنه يشـير الحديث المتقدم تحت البيت رقم: (207)، والذي يرويه ابن أبي شـيبة، وفي الحـديث: **«ثم لهم ربهم تبارك وتعالى، ثم يقول: سلوني أعطكم، قـال فيسـألونه الرضـا، فيقـول: رضائي أحلكم داري... قال: فيشـهدهم أنه قد رضي عنهم...»**.

---

[1] () يس: 36.

214- فَبالله ما عُذْرُ امرئ
بِهَذا وَلا يَسْعَى لهُ وَيَقدّمُ
215- وَلكنَّما التَّوفيــ...
يَخُصُّ بِه مَنْ شَاءَ فضلاً

بعد أن سمعت ما أعد الله سبحانه لأهل طاعته وأهل محبته، من النعيم المقيم الـذي يعجز الوصف عنه، كيف لا ؟ وهو الذي لم تره العيون، ولم تسمع به الآذان، ولم يخطر على القلـــوب، سـبحانه؛ جـزاءً، وتفضـلاً، ومنَّة منـه، وتكرمًـا، أحب لقاء الله، وعمل في دار العمل ليجزى به في دار الجزاء.

ثم يســتدرك المصـــنف، رحمه الله فيقــول: (ولكنما التوفيــق...) أي أن الله ســبحانه يتكـــرم على عبـــاده ويتفضل عليهم، حيث الأسباب التي تساعد العبد على طاعة اللــه، الأسباب هـذه تـأتي من الله سـبحانه إذا بـذل أولاً من نفسه من يؤهله لـــــذلك؛ **﴿وَالَّذِينَ جَاهَـدُوا فِينَا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُــبُلَنَا** فـذكر سـبحانه المجاهـدة من العبد أولاً، ثم ذكر هدايته بعد ذلك.

216- فَيَا بَائعًا هَـــــذا

---

[1] () سورة العنكبوت: 69.

كَأَنَّكَ لا تَدْرِي، بَلَى

مر بك -فيما سبق- ما أعد الله سبحانه طاعته من النعيم في الجنات التي تجري من الأنهار، وفيها من الطيبات والثمرات الحسناوات، وغير ذلك من الملذات، وفوق ذلك كله، رؤية الخالق جل وعلا، وسلامه ورضوانه الأبدي.

فتجد الكثير من الناس من يبيع هذا كله، ويزهد ليشتري مكانه لذة فانية، ونعيمًا كاذبًا يزول بعد لحظات قلائل، فتذهب اللذة وتبقى التبعات؛ فالذي يفعل هذا كأنه لا يعلم حقيقة الأمر، ولكنه حتى لو تغافل في هذه الدنيا، فإنه سوف يأتيه علم اليقين، وتنكشف له الحقائق، ويعرف بعد ذلك أنه قد خدع نفسه.

217- فقدِّم فدَتْكَ النَّفْ

هِيَ الثَّمَنُ المبذُول حِينَ

هذا الأجر العظيم الذي أعده الله لعباده، يتمناه كل مخلوق، لا بد من ثمن؛ وثمنه الله سبحانه، وطاعة رسوله ﷺ.

بعد أن عرفت أن الله سبحانه الطائعين ذلك النعيم العميم المقيم، وعرفت أن التوفيق على العمل لا بد له من بذل جهد منك، وأن

---

[1] () بخس: الناقص القليل. معجل : العاجل نقيض الآجل (القاموس).

نفسك هي أغلى شيء عندك في الحياة؛ فابذلها رخيصة في سبيل مرضات الله، عسى أن يتقبلها منك، ويجعلها ثمنًا لذلك النعيم؛ يقول المولى في علاه: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾**[1].

218- وَخُضْ غَمَرات المـوْ

تَتَسَنَّم[2]

إذا أراد الإنسان أن يجود بنفسه في سبيل الله، فإن الشيطان يقعد له في طريقه يثبطه ويثنيه عن عزمه، ليخذله ويصده عن طريق الخير.

فينصحك المصنف بأن تقتحم الموت؛ أي: تدخل عليه بكل قوتك. فإن فعلك هذا هو السلم الذي تصعد وترتقي إلى محبة الله سبحانه، وإلى مرضاته.

219- وَسَلمْ لَهمِ مَا عَاقـدُ

وَيُسَلموا[3]

إذا أردت أن يبذلوا لك الرغيد في جنات النعيم، إذا أحببت أن يسلموا لك هذا فسلم أنت لهم أولاً؛ كما أخبر المولى جل

---

1 () سورة التوبة: 111.

2 () خض: اقتحم . غمرات الموت: شدته ومزدحمه . رقى: صعد.
معارج: المعراج: السلم والمصعد. تتسنم : ترتفع (القاموس المحيط).

3 () عاقدوك . العقد : الضمان والعهد.

علاه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾[1]؛ ويقول سبحانه: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ**﴾[2].

220- فَمَا ظفـرَتْ بالوصْ

يَنْعَمُ[3]

الـذي يريد الفـوز والفلاح فلا بد أن يجد لكي يحصد ما زرع، يقـول الحق سـبحانه: ﴿**هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لاَ يَعلَمُونَ**﴾[4]؛ ويقـول جل علاه: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ كَالْفُجَّارِ**﴾[5].

فهل يصح أن يتساوى إنسان طائع لله، قد نفسه بعبادة الله في حركاته وسكناته، همه إرضاء يفعل ما أمِر وينزجر عمّا نُهي عنه وحـذَّر- هل يستوي ومن أطلق لنفسه العنان، فهو غارق في شهواته وملذاته

---

1 () سورة التوبة: 111.

2 () سورة الرحمن: 60.

3 () ظفـرت: فـازت بـالمطلوب. الوصـل: ضـد الهجـران (القاموس).

مهينة: ذليلة. البطالة: التَّبطل: فعل البطالة، وهو اتباع اللهو والجهالة (لسان العرب). ينعم: التنعّم: الترفه.

4 () سورة الزمر: 9.

5 () سورة ص: 28.

لا يردعه شيء؟

بقدر الجد تكتسب ومن طلب العلا سهر
ومن رام العلا من المحال[1]

221- وَإن تَكُ قَدْ عَاقتْك مسلمُ[2]

222- وَقَدْ سَاعَدَتْ بالوَصْل لها مِنكَ وَالوَاشَي بِهَا

يعبر المصنف، رحمه الله تعالى، عن بكلمة (سعدى) فيقول: إذا كانت الدنيا قد وقفت حجر عثرة في طريقك إلى الله، وأعاقت سيرك، ومنعتك العمل ومن التقرب إليه سبحانه. وقد أسرَ قلبك والعمل لها، فتركت الآخرة ونسيتها؛ فأنت تعمل وقلبك معلق بها، ولا هَمَّ لك إلا هي، بينما غيرك يتنعم بها؛ لأن من خصائص الدنيا أن تذل من أكرمها، وترفع من أعرض عنها وتركها؛ فأنت تكدح وتتعب

---

1 () انظر ديوان الإمام الشافعي . تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي.

2 () عاقتك : العَوْق: الحبس والصرف والتثبيط (القاموس).

المعنى : العاني : الأسير. عان : خاضع ومطيع (لسان العرب).

رهين: الرهن: ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك، يعني: أن قلبك عندها موضوع مقابل ما تحصل عليه من ملذاتها.

يأتيك منها إلا ما كتب الله لك من الرزق. وكلما كـثر الإنسان زاد همه وكـثر تعبه وأشـغل نفسه بـالتفكير وكيف يحفظه وينميه. وربما يفتتن الإنسان ببهارج الدنيا وزخارفهـا، فيجد نفسه أسـيرًا عنـدها. فالمصـنف، رحمه الله تعالى، يعرض لك حلاً مناسبًا فيقول:

223- فَـدَعْهَا وَسَـلِّ النَّفِ

الحُّق يَبْسمُ[1]

اترك الدنيا وزينتهـا، وحـاول أن تنسـاها وتصـبر نفسك عنها بغيرهـا. يعـني: أوجد لنفسك والبديل واضح وجليّ؛ ذكره من يقول الحق: ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[2]، ألا وهي الجنة. نعم الجنـة، الـتي مر بك الـنزر اليسـير من وصفها، والتي يشتاق إليها المحبون؛ فإنهم في ضـنك من العيش دونهـا، لا يقر لهم قـرار يـدخلهم الله - برحمتـه- فيهـا؛ حيث السـرمدي: ﴿**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْـرَجِينَ**

بالإضافة إلى رؤية العزيز الرحيم وهو يضحك.

224- وَقَد ذُللتْ فيها

وَيطعَمُ[4]

---

[1] () سل النفس : سلاه وسلا عنه : نسيه (لسان العرب).

[2] () سورة الأحزاب: 4.

[3] () سورة الحجر: 48.

[4] () ذللت: دليت أو سويت. قطوف: القطف: العنقود. جناها: التقط الثمر أو قطفه من الشجر (القاموس).

الجنة دار قــرار لا نصب فيهــا: ﴿**لا فِيهَا نَصَبٌ**﴾[1]؛ فإذا أراد الإنسان أن يقطف ثمرة فإنه يقطفها وهو على هيئتـه؛ قائمًـا، أو جالسًـا، مستلقيًا على سـريره، من غـير أن يبـذل أي
قال سبحانه: ﴿**قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**﴾[2].

225- وَقَــــدْ فُتحتْ لخِطابها فالحُسْنُ فِيهَا

226- وَقَـدْ طـابَ مِنهَّا نُ وَتَنعَّموا[3]

قال الحق سبحانه: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَــــالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا طِبْتُمْ**﴾[4].

الجنة خلقها الله سبحانه وتعــالى قبل أن الخلـــق، فهي الآن موجـــودة، وقد دخلها ورأى قصر عمر، وسمع صوت مشي بلال، ورأى الرميصــاء (أم ســليم)، وغــيرهم رضي الله فهي جــاهزة ومعــدة لمن يــدفع مهرهــا. ومن

---

1 () سورة الحجر: 48.

2 () سورة الحاقة: 23.

3 () طاب: لذَّ وزكى. نزلها: النزل: ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه. نزيلها: النزيل: الضيف (مختار الصحاح).
طوبى: الطيب، وجمع الطيبة، والحسنى، وشجرة في الجنة (القاموس).
حلوا: حل: نزل.

4 () سورة الزمر: 73.

مهرها يسـير؛ لأنه ﴿لا يُكَلِّفُ وُسْعَهَا﴾[1]، فمن الممكن لكل إنسان أن يعمل لها، لكنها حفت بالمكـاره. أما المشـمرون؛ فـإنهم غايتهم، فلا يصرفهم عنها صارف. فهي طيبة وأعدت لكل طيب، فمن طيب نفسه في الـدنيا وأكرمها الرذائل، فطوبى له، وهو فيها طيب مطيب.

227- أَقَامَ عَلَى أَبْوَابِهَا دَاعِيَ تَغْنَمُوا[2]

الله سـبحانه وتعـالى عنـدما خلق يتركهم، وإنما أرسل لهم الرسل؛ يدلونهم على الخير، ويرشـدونهم إلى الحـق، ويحـذرونهم طـرق الضـلال، فكل رسـول هو داعي هـدى إلى فمن أطاعه فاز وغنم ونال السعادة الأبدية، وأما من كذبه وأعرض عنه فمآله إلى دار الشقاء.

روى البخاري: (6483)، ومسلم (2283)، عن أبي هريرة ، أنه سمع رسـول الله يقـول: **مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الـدوابّ الـتي تقع في النـار يقعن فجعل الرجل يَزَعُهنّ ويغلبنه فيقتحمن**

---

[1] () سورة البقرة: 286.

[2] () أقام: أقام الشيء أي أدامه (مختـار الصـحاح)، يعـني أنه جعل مناديًا دائمًـا يـدعو إليهـا. داعي الهـدى: النـبي. هلموا: تعالوا.

فيهـا، فأنا آخذ بحجـزكم عن النـار، تقحمون فيها».

228- وَقَـدْ غَـرَسَ الـرَّحْ
أعْلَمُ[1]

229- وَمَن يَغْـرِس الـرَّح
سَعِيدٌ وَإِلَّا فَالشَّقَاءُ مُحَتَّمُ

روى البخـاري: (4850)، ومسـلم (2846) 36)، عن أبي هريـرة ، قـال: قـال **«تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقـالت الجنـة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمـتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقـال للنـار: إنما أنت عـذابٌ أعـذب بك من عبادي، ولكل واحدة منهما[2] ملؤها؛ فأما النـار فلا تمتلئ حـتى يضع رجلـه، فتقـول: قـط، قـط، قـط؛ فهنالك تمتلئ ويـزوي بعضـها إلى بعض، ولا يظلم من خلقه أحـدًا. وأما الجنة فـإن وجل ينشئ لها خلقًا»**.

---

[1] () غِراسه: ما يغـرس من الشـجر. والمـراد هنـا: الـذين خلقهم الله للجنة.
محتم: واجب ولازم، قضاء.

[2] () هذه رواية البخاري، أما رواية مسلم (منكما).

والشاهد من الحديث في قوله عليه والسلام: «**وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقًا**»؛ فالذي يكتب الله له أنه من أهل الجنة فإن السعادة الأبدية تلازمه؛ وأما من كان من أصحاب النار فإنه سوف يشقى: ﴿**لا يُقْضَى فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا**﴾[1].

---

[1] () سورة فاطر: 36.